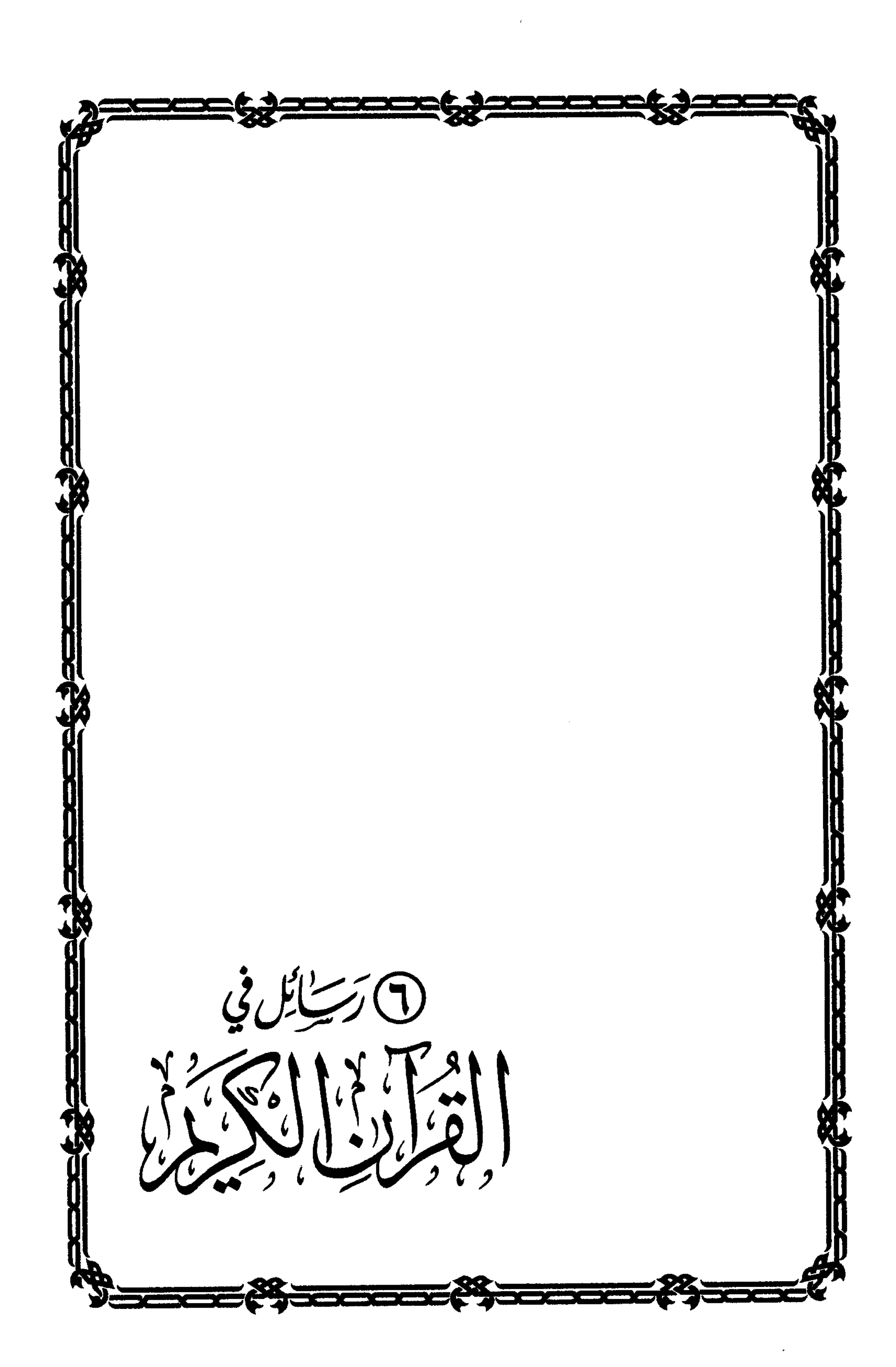

٦ رسائل في
القرآن الكريم



الطبعة الأولى

١٤٣٣هـ/ ٢٠١٢م

رقم الإيداع: ١٣٤٧٠/ ٢٠١٢

دار الاستقامة

جمهورية مصر العربية

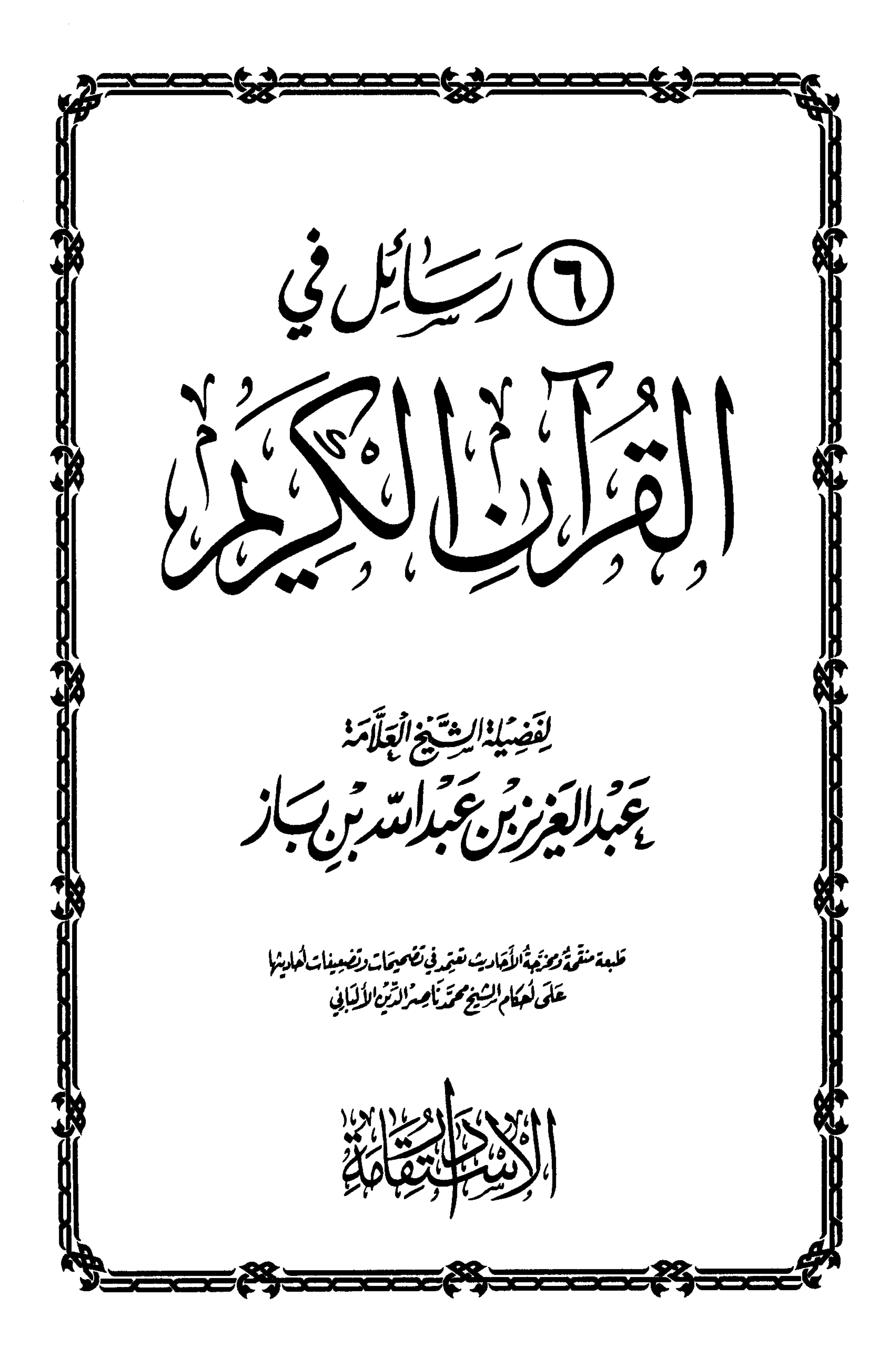
ش الهدي المحمدي- أحمد عرابي

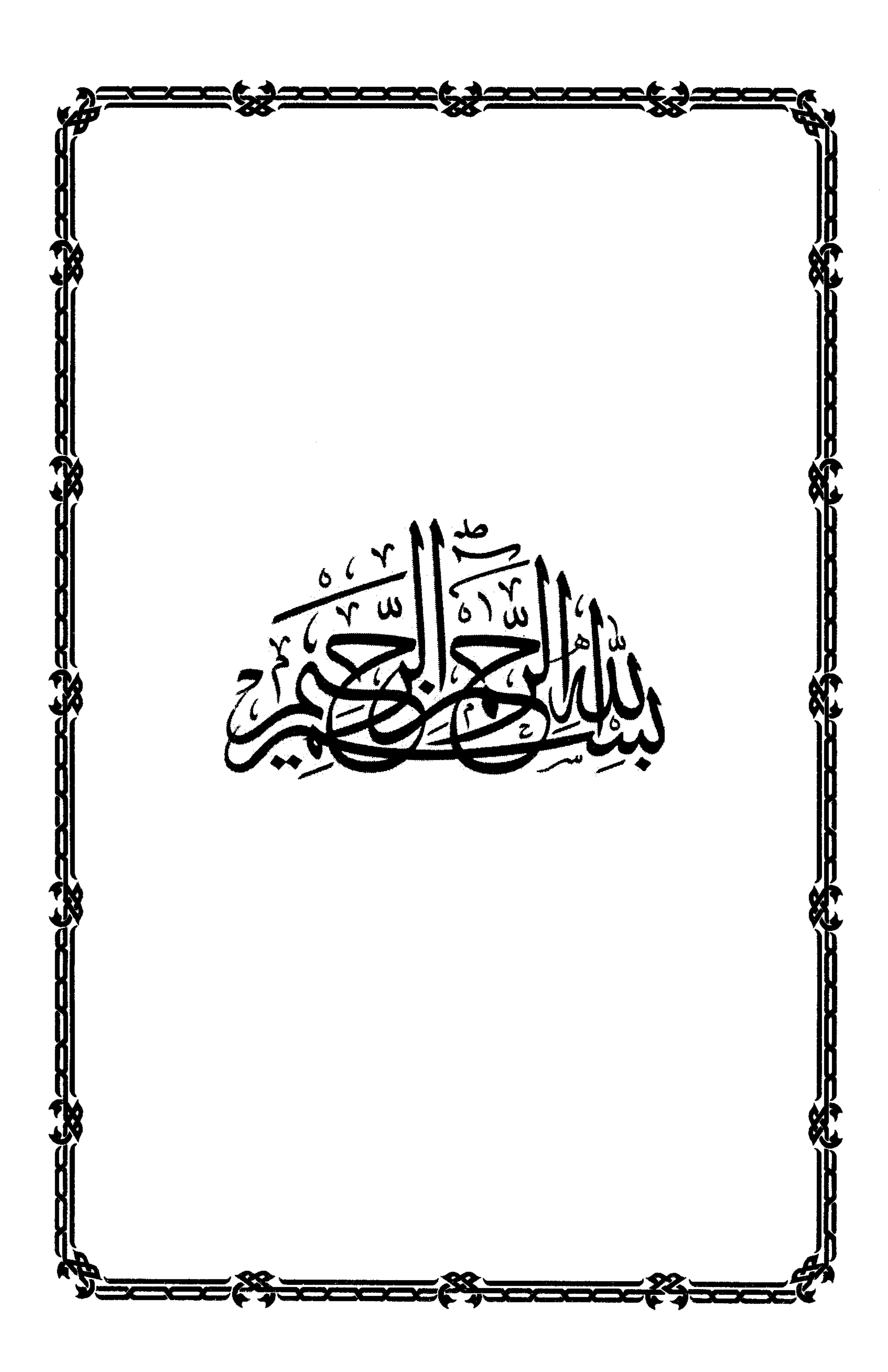
– مساكن عين شمس – القاهرة

تليفون: ٠٠٢٠١٢٨٥١٨٣٤٤٢-٠٠٢٠١٢٢٧٤٨٣٢٦٣

تليفاكس: ٠٠٢٠٢٢٩٨٧٦٣٧٧

zahran_75@yahoo.com


٦ رسائل في
القرآن الكريم
لفضيلة الشيخ العلامة
عبد العزيز بن عبد الله بن باز
طبعة منقحة ومخرجة الأحاديث تعتمد في تصحيحات وتضعيفات أحاديثها
على أحكام الشيخ محمد ناصر الدين الألباني
دار الاستقامة


بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المعتني

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا؛ من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ [النساء: ١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

❑ **أما بعد:**

فهذه مجموعة قيمة من الرسائل العلمية والدعوية لفضيلة الشيخ العلامة الإمام عبد العزيز بن عبد الله بن باز رَحِمَهُ اللَّهُ، جمعناها في هذا الكتاب حيث أنها تتعرض لقضية معينة لطالما تناول العلماء معالجتها ؛ ألا وهي قضية (القرآن ومكانته).

وقد تضمن هذا الكتاب ست رسائل، وهي:

١- الوصية بكتاب الله (القرآن الكريم).

٢- الوصية بقراءة القرآن الكريم وتدبره والعمل به.

٣- الحث على العناية بكتاب الله وتعلمه. ٤- حرمة القرآن الكريم.

٥- حكم الإسلام فيمن زعم أن القرآن متناقض أو مشتمل على بعض الخرافات أو وصف الرسول ﷺ بما يتضمن تنقصه، أو الطعن في رسالته...

٦- وجوب الاعتصام بكتاب الله عز وجل وسنة رسوله ﷺ والتحذير مما يخالفهما.

وكان عملنا في هذا الكتاب كالتالي:

أولًا: استللنا هذه الرسائل من «مجموع فتاوى ومقالات متنوعة» للشيخ ابن باز رحمه الله، ورتبناها ترتيبًا موضوعيًّا بحسب أهميتها.

ثانيًا: ضبط نص الكتاب ومقابلته على كتاب مجموع فتاوى ومقالات متنوعة، ط. رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء.

ثالثًا: عزو الآيات القرآنية إلى مواضعها من المصحف بذكر اسم السورة ورقم الآية.

رابعًا: عزو الأحاديث إلى مصادرها من كتب السنة، فالأحاديث التي في «الصحيحين» العزو إليهما يكفي في الدلالة على صحة الحديث، وما كان في غيرهما قمنا بعزوه إلى مصادره، واستعنا بتحقيقات العلامة الألباني رحمه الله في الحكم على الأحاديث التي وجدنا له أحكامًا عليها.

وختامًا: فهذا جهد المقل، فما كان من توفيق فمن الله وحده، وما كان من زلل أو خطإ فمن عند أنفسنا ومن الشيطان.

فنسأل الله أن يغفر لنا ويتجاوز عن زلاتنا، إنه ولي ذلك والقادر عليه، ونسأله سبحانه أن يجعل هذا العمل خالصًا لوجهه الكريم، والحمد لله رب العالمين.



الرسالة الأولى
الوصية بكتاب الله
(القرآن الكريم)[1]

(١) محاضرة لسماحة الشيخ عبد العزيز في مسجد الأمير متعب بن عبد العزيز بجدة مساء الخميس ١٣ / ٨ / ١٤١٦هـ. انظر: «مجموع فتاوى ومقالات متنوعة» للعلامة ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ (٩/ -٣٨).



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، والصلاة والسلام علىٰ عبده ورسوله وخليله وأمينه علىٰ وحيه وصفوته من خلقه؛ نبينا وإمامنا وسيدنا محمد بن عبد الله، وعلىٰ آله وصحبه، ومن سلك سبيله واهتدىٰ بهداه إلىٰ يوم الدين.

❑ **أما بعد:**

فإن كتاب الله فيه الهدىٰ والنور، وهو حبله المتين، وصراطه المستقيم، وهو ذكره الحكيم؛ من تمسك به نجا، ومن حاد عنه هلك.

يقول الله عَزَّوَجَلَّ في هذا الكتاب العظيم: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ۝٩ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ۝١٠﴾ [الإسراء: ٩، ١٠].

هذا كتاب الله يهدي للتي هي أقوم؛ يعني: للطريقة التي هي أقوم، والمسلك الذي هو أقوم، الذي هو خير الطرق وأقومها وأهداها، فهو يهدي إليه، يعني: يرشد إليه، ويدل عليه ويدعو إليه؛ وهو توحيد الله وطاعته، وترك معصيته، والوقوف عند حدوده، هذا هو الطريق الأقوم، وهو المسلك الذي به النجاة.

أنزله الله جل وعلا تبيانًا لكل شيء، وهدىٰ ورحمة وبشرىٰ للمسلمين، كما قال سبحانه في سورة النحل: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ۝٨٩﴾ [النحل: ٨٩].

* فهو تبيان لكل شيء، وهدىٰ إلىٰ طريق السعادة، ورحمة وبشرىٰ، يقول جل

وعلا: ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ﴾ [فصلت: ٤٤]؛ هدًى لقلوبهم للحق، وشفاء لقلوبهم من أمراض الشرك والمعاصي والبدع والانحرافات عن الحق، وشفاء للأبدان من كثير من الأمراض.

وهو بشرىٰ للإنس والجن، لكنه سبحانه ذكر المؤمنين؛ لأنهم هم الذين اهتدوا به وانتفعوا به، وإلا فهو شفاء للجميع، كما قال جل وعلا: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾﴾ [النحل: ٨٩].

وقال سبحانه: ﴿إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء: ٩].

* فالقرآن شفاء ودواء للقلوب من جميع الأدواء المتنوعة؛ أدواء الشرك والمعاصي، والبدع والمخالفات، وهو شفاء لأمراض الأبدان أيضًا، وأمراض المجتمعات؛ شفاء لأمراض المجتمع، وأمراض البدن، لمن صَلُحَت نيته وأراد الله شفاءه.

ويقول جل وعلا: ﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿١﴾﴾ [إبراهيم: ١].

* فهو كتاب يخرج الله به الناس من الظلمات؛ من ظلمات الشرك والمعاصي، والبدع والفرقة والاختلاف، إلىٰ نور الحق والهدىٰ، والاجتماع علىٰ الخير، والتعاون علىٰ البر والتقوىٰ، وهذا هو صراط الله المستقيم، وهو توحيد الله، وأداء فرائضه وترك محارمه، والتواصي بحقه والحذر من معاصيه، ومن مخالفة أمره، هذا هو صراط الله المستقيم، وهذا هو النور والهدىٰ، وهذا هو الطريق الأقوم.

وقال سبحانه في سورة الأنبياء: ﴿وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَاهُ ۚ أَفَأَنتُمْ لَهُ مُنكِرُونَ

﴿٥٠﴾ [الأنبياء: ٥٠].

وقال سبحانه في سورة يس: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ ﴿٦٩﴾ لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٠﴾﴾ [يس: ٦٩، ٧٠].

والمقصود: أن الله جل وعلا جعل كتابه ذكرًا، وجعله نذارة، وجعله شفاءً، وجعله هدًى؛ فالواجب على جميع المكلفين من الجن والإنس أن يهتدوا به، وأن يستقيموا عليه، وأن يحذروا مخالفته، قال جل وعلا: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾﴾ [ص: ٢٩].

وقال سبحانه: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٥٥﴾﴾ [الأنعام: ١٥٥].

وقال جل وعلا: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾﴾ [محمد: ٢٤].

وسئلت عائشة رضي الله عنها فقيل لها: **«يا أم المؤمنين، ماذا كان خُلُق النبي ﷺ؟ قالت: كان خلقه القرآن، قال تعالىٰ:** ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾﴾ [القلم: ٤]»(١).

والمعنىٰ: أنه ﷺ كان يتدبر القرآن، ويكثر من تلاوته، ويعمل بما فيه؛ فكان خلقه القرآن؛ تلاوة وتدبرًا، وعملًا بأوامره، وتركًا لنواهيه، وترغيبًا في طاعة الله ورسوله، ودعوة إلىٰ الخير، ونصيحة لله ولعباده، إلىٰ غير ذلك من وجوه الخير.

* وقال تعالىٰ: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ﴾ [يوسف: ٣]. فالقرآن هو أحسن القصص، وهو خُلُق النبي ﷺ.

---

(١) أخرجه أحمد (٢٤٦٤٥)، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في «صحيح الجامع» (٤٨١١).

*** ونصيحتي لجميع المسلمين رجالًا ونساءً، جنًّا وإنسًا عربًا وعجمًا علماء ومتعلمين، نصيحتي للجميع**: أن يعتنوا بالقرآن الكريم، وأن يكيحتي لجميع المسلمين رجالًا ونساءً، جنًّا وإنسًا، عربًا وعجمًا، ثروا من تلاوته بالتدبر والتعقل، بالليل والنهار، ولا سيما في الأوقات المناسبة التي فيها القلوب حاضرة للتدبر والتعقل، والذي لا يحفظه يقرؤه من المصحف، والذي لا يحفظ إلا البعض، يقرأ ما تيسر منه؛ قال تعالىٰ: ﴿فَٱقْرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ﴾ [المزمل: ٢٠].

وإذا كان يعرف الحروف يتهجىٰ؛ ويقرأ من المصحف حتىٰ يتعلم زيادة، والذي لا يعلم يتعلم من أمه أو أبيه أو ولده أو زوجته إن كانت أعلم منه، والتي لا تعرف يعلمها أبوها، أو أخوها أو زوجها أو أختها أو غيرهم.

وهكذا يتواصىٰ الناس ويتعاونون؛ الزوج يعين زوجته، والزوجة تعين زوجها، والأب يعين ولده، والولد يعين أباه، والأخ يعين أخاه، والخال والخالة، وهكذا الكل يتعاونون ويتواصون بهذا الكتاب العظيم؛ تدبرًا وتعقلًا وعملًا؛ لقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ﴾ [المائدة: ٢].

وقوله سبحانه: ﴿وَٱلْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ ﴿٣﴾﴾ [العصر: ١-٣].

ولما رواه مسلم في صحيحه عن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن النبي ﷺ قال للناس في خطبته يوم عرفة في حجة الوداع: «**إني تارك فيكم ما لن تضلوا إن اعتصمتم به؛ كتاب الله**»[1] . هكذا يوصيهم -عليه الصلاة والسلام- بكتاب الله، ويخبرهم أنهم لن

---

(١) أخرجه مسلم (٢١٣٧).

يضلوا إن اعتصموا به.

وفي اللفظ الآخر: «كتاب الله وسنتي»(١). وسنة الرسول ﷺ من كتاب الله؛ لأن الله سبحانه يقول: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ﴾ [التغابن: ١٢].

* فكتاب الله يأمر بطاعة الله وطاعة رسوله، قال تعالىٰ: ﴿قُلۡ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَۖ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّمَا عَلَيۡهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيۡكُم مَّا حُمِّلۡتُمۡۖ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهۡتَدُواْۚ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ۝٥٤﴾ [النور: ٥٤].

ويقول جل وعلا: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَٱحۡذَرُواْ﴾ [المائدة: ٩٢].

ويقول: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ [النساء: ٨٠].

فالرسول ﷺ أوصىٰ بالقرآن؛ فوصيته بالقرآن وصية بالسنة، وهي: أقواله وأفعاله وتقريراته كما تقدم.

ويروىٰ عن علي رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «تكون فتن»، فقيل له: يا رسول الله، فما المخرج منها؟ قال: «كتاب الله؛ فيه نبأ ما كان قبلكم، وخبر ما بعدكم، وحكم ما بينكم...»(٢). الحديث.

* فهو المخرج من جميع الفتن، وهو الدال علىٰ سبيل النجاة، وهو المرشد إلىٰ أسباب السعادة، والمحذِّر من أسباب الهلاك، وهو الداعي إلىٰ جمع الكلمة، وهو المحذر من الفرقة والاختلاف، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمۡ وَكَانُواْ شِيَعٗا لَّسۡتَ مِنۡهُمۡ فِي شَيۡءٍ﴾ [الأنعام: ١٥٩].

---

(١) أخرجه الحاكم (١/ ٩٣)، وأشار الألباني إلىٰ صحته في «مختصر العلو» (٦١).

(٢) أخرجه الترمذي (٢٨٣١)، وضعفه العلامة الألباني رحمه الله في «صحيح وضعيف سنن الترمذي».

ويقول جل وعلا في هذا الكتاب العظيم: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾ [آل عمران: ١٠٥].

ويقول ﷻ: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران: ١٠٣].

* فهو يدعو إلىٰ الاجتماع علىٰ الحق، والتواصي بالحق، كما قال سبحانه: ﴿وَالْعَصْرِ ۝١ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ۝٣﴾ [العصر: ١-٣].

وهذه السورة العظيمة القصيرة قد جمعت الخير كله، ما أبقت شيئًا من الخير إلا ذكرته، ولا شيئًا من الشر إلا وحذرت منه. وهؤلاء المستثنَوْن فيها هم الرابحون؛ من الجن والإنس، من الذكور والإناث، من العرب والعجم، من التجار والفقراء، من الأمراء وغيرهم، هم الرابحون، وهم الناجون من الخسران، وهم الذين اتصفوا بأربع صفات، وهي: الإيمان، والعمل الصالح، والتواصي بالحق، والتواصي بالصبر.

وهؤلاء هم السالمون من الخسران، ومن عداهم خاسر علىٰ حسب ما فاته من هذه الصفات الأربع.

فمن آمن بالله ورسوله، وصدَّق الله في أخباره، وصدَّق الرسول ﷺ فيما صح عنه، وآمن بكل ما أخبر الله به ورسوله من أمر الآخرة والجنة والنار والحساب والجزاء وغير ذلك، وآمن بأن الله سبحانه هو المستحق للعبادة، وأنه واحد لا شريك له، وأن العبادة حقه، وأنه لا تجوز العبادة لغيره، وصدق بهذا، كما أخبر الله في كتابه العظيم، حيث قال سبحانه: ﴿فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ۝٢﴾ [الزمر: ٢].

وقال تعالىٰ: ﴿۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٢٣].

وقال سبحانه: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾ [الفاتحة: ٥].

وقال تعالىٰ: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ﴾ [البينة: ٥].

وقال تعالىٰ: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ۝١٦٣﴾ [البقرة: ١٦٣].

وقال سبحانه: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ۝٦٢﴾ [الزمر: ٦٢].

وقال سبحانه: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦﴾ [الذاريات: ٥٦].

وقال عز وجل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ﴾ [البقرة: ٢١].

فهذا هو أصل الدين وأساس الملة؛ أن تؤمن بأن الله هو الخالق والرازق، وأنه هو المعبود بالحق، وأنه سبحانه له الأسماء الحسنىٰ والصفات العلىٰ؛ لا شبيه له ولا كفو له، ولا شريك له في العبادة، ولا في الملك والتدبير.

كما قال سبحانه: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

وقال سبحانه: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾ [الإخلاص: ١-٤].

وقال سبحانه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ۝١١﴾ [الشورىٰ: ١١].

وقال سبحانه في سورة الحج: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ﴾ [الحج: ٦٢].

وقال سبحانه: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ۝١٨﴾ [الجن: ١٨].

والآيات في هذا المعنىٰ كثيرة.

* **والخلاصة**: أن الواجب علىٰ كل مكلف من الجن والإنس أن يخص الله بالعبادة، وأن يؤمن إيمانًا قاطعًا بأنه الخلَّاق الرزاق، لا خالق إلا الله، ولا ربَّ سواه، وأنه سبحانه المستحق للعبادة، لا يستحقها أحد سواه، وهو المستحق لأن يعبد بالدعاء، والخوف والرجاء، والصلاة والصوم، والذبح والنذر، وغيرها، كلٌّ لله وحده لا شريك له، قال تعالىٰ: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ﴾ [الروم: ٣٠].

وقال تعالىٰ: ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾ [البينة: ٥].

وهذا هو معنىٰ لا إله إلا الله؛ فإن معناها: لا معبود بحق إلا الله، كما قال تعالىٰ: ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ [محمد: ١٩]؛ يعني: فاعلم أنه لا معبود بحق إلا الله، فهو المستحق أن يعبد.

* ومن عبد الأصنام، أو أصحاب القبور، أو الأشجار أو الأحجار، أو الملائكة أو الأنبياء، فقد أشرك بالله، وقد نقض قول لا إله إلا الله وخالفها، وقد خالف قوله تعالىٰ: ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾ [البينة: ٥]، وخالف قوله تعالىٰ: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦ ﴾ [الذاريات: ٥٦]. فصار من جملة المشركين؛ عُبَّاد القبور، والأصنام والأشجار والأحجار، الذين يستغيثون بأصحاب القبور ويتبركون بقبورهم، ويدعونهم أو يطوفون بقبورهم يرجون نفعهم وثوابهم، أو يستغيثون بهم، أو يطلبون منهم الولد أو المدد، أو ما أشبه ذلك مما يفعله عبَّاد القبور، وعبَّاد الأصنام، أو يستغيثون بالنجوم، أو بالجن أو بالملائكة أو بالأنبياء، أو بغيرهم من المخلوقات.

كل هذا نقض لقول لا إله إلا الله، وشرك بالله ينافي التوحيد ويضاده.

ومخالف لقول الله جل وعلا: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [البينة: ٥].

وقوله تعالىٰ: ﴿وَلَوۡ أَشۡرَكُواْ لَحَبِطَ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٨٨﴾﴾ [الأنعام: ٨٨].

ولقوله تعالىٰ: ﴿وَلَقَدۡ أُوحِيَ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ لَئِنۡ أَشۡرَكۡتَ لَيَحۡبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعۡبُدۡ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٦﴾﴾ [الزمر: ٦٥، ٦٦].

وقوله سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨].

وقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ ﴿١٣﴾﴾ [لقمان: ١٣].

فلا بد من توحيد الله، والإخلاص له في صلاتك، وصومك، وسائر عباداتك، وفي ذبحك، ونذرك، وخوفك ورجائك، لا بد في كل ذلك من ترك الإشراك بالله والحذر منه، مع الإيمان بالله ربك وأنه خالقك؛ لا خالق غيره، ولا ربَّ سواه، مع الإيمان بأسمائه وصفاته، وأنه سبحانه ذو الصفات العلىٰ والأسماء الحسنىٰ؛ لا شبيه له، ولا كفو له ولا ند له.

كما قال ﷻ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠].

وقال تعالىٰ: ﴿فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا﴾ [البقرة: ٢٢]، والمراد: أشباه ونظراء.

وقال تعالىٰ: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورىٰ: ١١].

وقال تعالىٰ: ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمۡ يَلِدۡ وَلَمۡ

يُولَدۡ ﴿٣﴾ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ ﴿٤﴾﴾ [الإخلاص: ١-٤].

وعليه أيضًا أن يؤمن بأن كل إنسان مكلف، يجب أن يؤمن بأن الله سبحانه هو خالقه وموجده، وأنه خالق كل شيء ومالكه، وأنه هو المستحق أن يعبده، وأنه هو الإله الحق، وهو المعبود بالحق.

* ولا يكون المرء مؤمنًا إيمانًا كاملًا، إلا إذا اعتقد أنه سبحانه له الأسماء الحسنىٰ والصفات العلىٰ، وأن أسماءه كلها حسنىٰ، وصفاته كلها عُلَىٰ، وأنه لا شبيه له، ولا مِثْل له، ولا كفؤ له.

كما قال سبحانه: ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمۡ يَلِدۡ وَلَمۡ يُولَدۡ ﴿٣﴾ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ ﴿٤﴾﴾ [الإخلاص: ١-٤].

وقال تعالىٰ: ﴿هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾﴾ [مريم: ٦٥]؛ يعني: لا سمي له، ولا كفؤَ له، ولا شريك له.

وقال تعالىٰ: ﴿فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [البقرة: ٢٢]. والمعنىٰ: لا تجعلوا له أشباهًا ونظراء تدعونهم معه.

وقال ﷻ: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورىٰ: ١١]؛ فهو يسمع أقوال عباده ويسمع دعاءهم، ويراهم، ومع ذلك لا شبيه له في ذاته، ولا في أسمائه، ولا في سمعه وبصره، ولا في جميع صفاته؛ فهو الكامل في كل شيء، وخلقه لهم النقص، أما الكمال فهو له ﷻ في كل الأمور.

فعليك بتدبر القرآن حتىٰ تعرف هذا المعنىٰ، تدبر القرآن من أوله إلىٰ آخره؛ من الفاتحة وهي أعظم سورة في القرآن، وأفضل سورة فيه إلىٰ آخر ما في المصحف:

﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾، والمعوذتين.

* تدبر القرآن، واقرأه بتدبر وتعقُّلٍ، ورغبة في العمل والفائدة، لا تقرأه بقلب غافل، اقرأه بقلب حاضر بتفهم وبتعقل، واسأل عما أشكل عليك؛ اسأل أهل العلم عما أشكل عليك، مع أن أكثره -بحمد الله- واضح للعامة والخاصة ممن يعرف اللغة العربية.

مثل قوله جل وعلا: ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ﴿٢٣٨﴾﴾ [البقرة: ٢٣٨].

وقوله تعالىٰ: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٥٦﴾﴾ [النور: ٥٦].

وقوله سبحانه: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ [النساء: ٨٠].

وقوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرْكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾﴾ [البقرة: ٤٣].

وقوله تعالىٰ: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ﴾ [البقرة: ١٨٣].

وقوله سبحانه: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ [آل عمران: ٩٧].

وقوله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾﴾ [المائدة: ٩٠].

وقوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ﴾ [البقرة: ٢٧٥].

* فكله آيات واضحات، بيَّن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ فيها ما حرم علىٰ عباده وما أحل لهم، وما

أمرهم به، وما نهاهم عنه.

وهكذا حرَّم الله الظلم، فقال تعالىٰ: ﴿وَٱلظَّٰلِمُونَ مَا لَهُم مِّن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٨﴾﴾ [الشورىٰ: ٨].

وقوله سبحانه: ﴿وَمَن يَظْلِم مِّنكُمْ نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا ﴿١٩﴾﴾ [الفرقان: ١٩].

فعليك -يا عبد الله- ألا تظلم الناس؛ لا في أنفسهم ولا في أعراضهم ولا في أموالهم.

احذر الظلم؛ فعاقبته وخيمة، يقول النبي ﷺ: **«كل المسلم علىٰ المسلم حرام: دمه وماله»**(١).

فاحذر؛ لا تَعْتَدِ علىٰ الفقير أو تخونه، أو تخون غير الفقير، اتق الظلم في المعاملات وفي كل شيء؛ لا تظلم عمالًا، إذا كنت صاحب شركة أو عندك عمال في بيتك؛ أعطهم حقوقهم، وأوف لهم بالشروط؛ فشروطهم أعطهم إياها سواء كنت مدير شركة أو صاحب عمال في بيتك أو في مزرعتك فاتق الله فيهم، لا تستضعفهم فتخونهم، وهكذا في جميع شئونك، لا تكن خائنًا ولا غشاشًا في بيعك وشرائك.

يقول النبي ﷺ: «من غشنا فليس منا»(٢).

ويقول الله جل وعلا: ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا ﴾ [النساء: ٥٨].

ويقول سبحانه في وصف المؤمنين: ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ

---

(١) أخرجه مسلم (٦٧٠٦).

(٢) أخرجه مسلم (٢٩٤).

﴿٨﴾ [المؤمنون: ٨].

ويقول جل وعلا: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَخُونُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓا۟ أَمَـٰنَـٰتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٧﴾﴾ [الأنفال: ٢٧].

فإذا كنت وكيلًا لإنسان في مزرعة أو شركة أو غير ذلك فلا تخنه، انصح وأدِّ الواجب، ولا تأخذ من حقه شيئًا إلا بإذنه، وهكذا في جميع الأشياء؛ كالوكيل في البيع أو الشراء، يجب عليه أن ينصح في ذلك؛ في الإجارة انصح، ولا تخن في أي شيء، في بيع ثمار النخل، في أي شيء انصح، قال تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَـٰنَـٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ﴿٨﴾﴾ [المؤمنون: ٨].

وإذا كان عليك دَين فاتق الله في أداء الدين، لا تقل إنني لا أستطيع وأنت تكذب، اتق الله وأدِّ الدين لمستحقه؛ فأنت مأمور بذلك؛ مأمور أن تؤدي الحقوق وأن توفي بالعقود.

يقول الله جل وعلا: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَـٰشِعُونَ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَـٰعِلُونَ ﴿٤﴾﴾؛ زكاة نفوسهم وزكاة أموالهم. ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَـٰفِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾﴾؛ أي: يحفظون الفروج من الزنا، واللواط وسائر المعاصي، إلا علىٰ أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فإنهم غير ملومين. ﴿فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ﴿٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَـٰنَـٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ﴿٨﴾﴾ [المؤمنون: ١- ٨]؛ يرعون الأمانات والعهود حتىٰ يؤدوها كما شرع الله.

* وهكذا الكلام السري هو من الأمانات، فلا تتكلم به ولا تفش السر، ومن

قال: افعل كذا وكذا ولا تخبر به أحدًا، فإن ذلك يكون سرًّا بينك وبينه، فلا تخنه، ولا تخن أمانة السر التي ليس فيها ضرر على أحد.

ومن أوصاك على عياله أو أوصاك على مزرعته فأدِّ الحق، وراقب الله في ذلك؛ فإن الله سبحانه رقيب عليك، وإذا اقترضت من إنسان حاجات فأدِّ حقه إليه، ولا تخنه في ذلك، واتق الله وأعطه جميع الحاجات التي أخذتها منه، أو ثمنها إن كنت أخذتها بالشراء، ولا تجحد ما عندك له إذا كان قد نسيه، بل أعطه إياه، وقل: إن هذا لك عندي ثمن كذا وثمن كذا؛ قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ۝٨ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ۝٩﴾ [المؤمنون: ٨، ٩].

❑ فالصلاة:

أعظم الواجبات وأهم الفرائض بعد التوحيد، وهي عمود الإسلام، وهي أعظم ركن وأعظم فريضة بعد الشهادتين، فاتق الله فيها، وحافظ عليها في الجماعة؛ لقول الله تعالى: ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ﴾ [البقرة: ٢٣٨].

ولقوله سبحانه: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ [البقرة: ٤٣].

ولقوله سبحانه: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ ۖ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

ولقوله سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ۝٣٤ أُولَٰئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُّكْرَمُونَ ۝٣٥﴾ [المعارج: ٣٤، ٣٥].

ولقوله سبحانه عن المنافقين: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَىٰ﴾ [النساء: ١٤٢].

فلا ترض لنفسك بمشابهتهم، ولا تكن مثلهم متثاقلًا عن الصلوات، كأنك تُجر إليها جرًّا، لكن كن نشيطًا قويًّا، مسارعًا إليها في صلاة الفجر وغيرها؛ فلا تقدم النوم علىٰ صلاة الفجر ولا علىٰ غيرها، بل كن صابرًا ومسارعًا، ومراقبًا الله في جميع الأوقات.

* وهكذا زوجتك، وهكذا أولادك؛ كن قويًّا في هذا الأمر مع الزوجة، ومع الأولاد، ومع الخدم، وأنت أولهم؛ كن مسارعًا، وكن قدوة في الخير، إذا سمعت النداء فبادر إلىٰ الصلاة في: الفجر والظهر والعصر والمغرب والعشاء، كما أمرك الله سبحانه بذلك، ورسوله ﷺ.

يقول الله سبحانه: ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ﴾ [البقرة: ٢٣٨]، والصلاة الوسطىٰ هي صلاة العصر، خصَّها الله بالذِّكْر لعظم شأنها.

ويقول سبحانه: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرْكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾﴾ [البقرة: ٤٣]، وإقامتها هي: أداؤها كما أمر الله.

❑ وإيتاء الزكاة هو:

أداؤها لمستحقيها كما أمر الله، فالأموال التي عندك أدِّ زكاتها كما أوجب الله؛ لا تبخل، وجاهد نفسك في إخراج الزكاة حتىٰ تؤديها إلىٰ أهلها، من هذا المال الذي عندك؛ من نقود أو غنم أو إبل أو بقر، أو غير ذلك من أموال الزكاة، وعروض التجارة؛ كالملابس والأواني والسيارات إلىٰ غير ذلك مما يعد للبيع.

فعليك أن تؤدي عن كل مال زكوي كلما حال عليه الحول.

في المائة من الدراهم والدنانير وغيرها من العُمَل:

اثنان ونصف، وهما ربع العشر، وفي الألف خمسة وعشرون، وفي مائة ألف: ألفان وخمسمائة.

وهكذا في غنمك:

إذا كانت سائمة ترعىٰ جميع الحول أو أكثره، في الأربعين إلىٰ مائة وعشرين: واحدة، وهي: جذع من الضأن أو ثني من المعز، وفي المائة وإحدىٰ وعشرين إلىٰ مائتين: اثنتان، وفي المائتين وواحدة: ثلاث شياهٍ، ثم تستقر الفريضة في كل مائة شاة؛ ففي أربعمائة من الغنم: أربع شياهٍ، وفي الخمسمائة: خمس شياهٍ... وهكذا.

وأما زكاة الإبل:

فقد فصَّلها النبي ﷺ؛ فجعل في الخمس من الإبل التي ترعىٰ جميع الحول أو غالبه: شاة واحدة، وفي العشر: شاتان، وفي خمس عشرة من الإبل: ثلاث شياهٍ، وفي العشرين: أربع شياهٍ إلىٰ خمس وعشرين.

فإذا بلغت خمسًا وعشرين، ففيها بنت مخاض -أنثىٰ قد تمَّ لها سنة- فإن لم توجد لدىٰ صاحب المال، أجزأ عنها ابن لبون -ذكر قد تم له سنتان- إلىٰ خمس وثلاثين.

فإذا بلغت ستًّا وثلاثين، ففيها بنت لبون -أنثىٰ قد تمَّ لها سنتان- إلىٰ خمس وأربعين.

فإذا بلغت ستًّا وأربعين، ففيها حِقة -قد تمَّ لها ثلاث سنين- إلىٰ ستين.

فإذا بلغت واحدة وستين، ففيها جذعة -قد تمَّ لها أربع سنين- إلىٰ خمس وسبعين.

فإذا بلغت ستًّا وسبعين، ففيها بنتا لبون إلىٰ إحدىٰ وتسعين.

فإذا بلغت إحدىٰ وتسعين، ففيها حقتان طروقتا الجمل إلىٰ مائة وعشرين.

فإذا زادت علىٰ مائة وعشرين، ففي كل أربعين بنت لبون، وفي كل خمسين حقة.

وهكذا في البقر:

إذا كانت سائمة ترعىٰ جميع الحول أو أغلبه، ففي كل ثلاثين: تبيع أو تبيعة قد تمَّ لكل منهما سنة.

وفي الأربعين: مسنة قد تم لها سنتان.

وفي الستين: تبيعان أو تبيعتان، وفي السبعين: تبيع ومسنة، وفي الثمانين: مسنتان، وفي التسعين: ثلاثة أتباع أو ثلاث تبيعات.

وفي المائة: تبيعان أو تبيعتان ومسنة.

وفي المائة والعشرين: ثلاث مسنات أو أربعة أتباع.

ثم تستقر الفريضة؛ ففي كل ثلاثين: تبيع أو تبيعة، وفي كل أربعين: مسنة.

أما الحبوب والثمار التي تُكال وتُدخر:

ففيها نصف العشر، إذا كانت تسقىٰ بمئونة؛ كالسواني والمكائن.

أما إذا كانت تُسقىٰ بالمطر أو الأنهار ونحو ذلك، ففيها العشر إذا بلغت خمسة أوسق؛ لقول النبي ﷺ: **«فيما سقت السماء والعيون العشر، وفيما سُقي بالنضح**

نصف العشر»(١). أخرجه البخاري في «الصحيح».

وقوله ﷺ: «**ليس فيما دون خمسة أوساق من تمر ولا حَبٍّ صدقة**»(٢). متفق علىٰ صحته.

❑ أما صيام رمضان:

فهو الركن الرابع من أركان الإسلام، يجب أن تتقي الله فيه؛ فإذا جاء رمضان عليك أن تصوم مع الناس كما أمر الله، وتحفظ صومك عن اللغو وعن الغِيبة والنميمة وسائر المعاصي، ولا تجرح صومك بشيء منها، بل الواجب أن تصون صيامك عن كل المعاصي؛ لقول النبي ﷺ: «**من لم يدع قول الزور والعمل به، والجهل، فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه**»(٣). أخرجه البخاري في «صحيحه».

وعليك بالكسب الحلال، تحرَّ الحلال من مكسب طيب، واحذر الحرام، وصُمْ صومًا صحيحًا، فإذا صمت فلتصم جوارحك عن كل ما حرم الله، هكذا الصوم الكامل: أن يصوم المرء عن الطعام والشراب، وأن يصوم عن كل ما حرم الله.

❑ وهكذا في حجك:

لا ترفث ولا تفسق، فإذا حججت فصُنْ حجَّك عن جميع المعاصي، احذر ذلك في جميع الأحوال؛ لقول النبي ﷺ: «**من حجَّ لله فلم يرفث ولم يفسق؛ رجع**

---

(١) أخرجه البخاري (١٤٨٣).

(٢) أخرجه البخاري (١٤٥٩)، ومسلم (٢٣١٤).

(٣) أخرجه البخاري (١٩٠٣).

كيوم ولدته أمه»[١]. متفق علىٰ صحته.

وقوله ﷺ: «**العمرة إلىٰ العمرة كفارة لما بينهما، والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة**»[٢]. متفق علىٰ صحته.

والحج المبرور: هو الذي ليس فيه رفث ولا فسوق.

وهكذا: يجب عليك في جميع المعاملات الحذر من الغش والخيانة والكذب؛ فقد مرَّ النبي ﷺ علىٰ رجل عنده صبرة من طعام في السوق، فكأنه أحس بشيء فيها، فأدخل يده فيها، فنالت أصابعه بللًا، فقال: «**ما هذا يا صاحب الطعام؟**»، قال: أصابته السماء يا رسول الله، فقال: «**أفلا جعلته فوق الطعام كي يراه الناس؟ من غشَّ فليس مني**»[٣]. أخرجه مسلم في «صحيحه».

❏ **والمقصود:**

* أن كتاب الله فيه الهدىٰ والنور، وفيه الدعوة إلىٰ كل خير، وفيه التحذير من كل شرٍّ، وهكذا سنة رسول الله ﷺ فيها الدعوة إلىٰ كل خير، والتحذير من كل شرٍّ.

فوصيتي لنفسي ولجميع إخواني المسلمين هي: تقوىٰ الله سبحانه في جميع الأحوال، وتقوىٰ الله هي: طاعته سبحانه بفعل الأوامر وترك النواهي، مع الإخلاص له جل وعلا في ذلك، والوقوف عند حدوده.

ومن تقوىٰ الله سبحانه: العناية بالقرآن، وتدبر معانيه، والإكثار من تلاوته

---

(١) أخرجه البخاري (١٥٢١)، ومسلم (٣٣٥٧).
(٢) أخرجه البخاري (١٧٧٣)، ومسلم (٥٣٣٥).
(٣) أخرجه مسلم (٢٩٥).

حفظًا أو نظرًا، مع التدبر والتعقل والعمل، قال الله سبحانه: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿٢٩﴾﴾ [ص: ٢٩].

فهو لم ينزل لجعله في الدواليب، ولا لمجرد القراءة أو الحفظ؛ وإنما نزل ليقرأ، ويتدبر، ويعمل به، قال تعالىٰ: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ [إبراهيم: ١].

وقال تعالىٰ: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ مُبَارَكٞ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُواْ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ﴿١٥٥﴾﴾ [الأنعام: ١٥٥].

وقال النبي ﷺ للناس يوم عرفة في حجة الوداع: «**إني تارك فيكم ما لن تضلوا إن اعتصمتم به: كتاب الله**»(١).

ويقول ﷺ أيضًا: «**إني تارك فيكم ثقلين: أولهما: كتاب الله؛ فيه الهدىٰ والنور، فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به**»، ثم قال: «**وأهل بيتي. أذكركم الله في أهل بيتي**»(٢)؛ يعني بهم: زوجاته وقراباته من بني هاشم.

* يذكر الناس بالله في أهل بيته بأن يرفقوا بهم، وأن يحسنوا إليهم، ويكفوا الأذىٰ عنهم، ويوصوهم بالحق، ويعطوهم حقوقهم ما داموا مستقيمين علىٰ دينه، متبعين لشريعته - عليه الصلاة والسلام -.

وصح عن عبد الله بن أبي أوفىٰ رضي الله عنه أنه سئل عما أوصىٰ رسول الله ﷺ فقال: «**أوصىٰ بكتاب الله**»(٣)، يعني: أوصىٰ بالقرآن، فالقرآن وصية الله ووصية رسوله -

---

(١) أخرجه مسلم (٣٠٠٩).

(٢) أخرجه مسلم (٦٣٧٨).

(٣) أخرجه البخاري (٢٧٤٠)، ومسلم (٤٣١٤).

عليه الصلاة والسلام- فالله جل وعلا أوصانا بهذا الكتاب فقال: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ﴾ [الأنعام: ١٥٥]، فهذه وصيته وأمره سبحانه باتباع كتابه والتمسك به.

وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [الزمر: ٢٣] الآية.

* فهذا كتاب الله هو أحسن الحديث، وهو أحسن القصص، كما قال سبحانه في سورة يوسف: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴿٣﴾﴾ [يوسف: ٣].

* فهو أحسن القصص؛ قصَّ الله علينا فيه أخبار الماضين من أخبار آدم، وأخبار نوح، وهود، وصالح، وغيرهم من الرسل المذكورين في القرآن، وقصَّ علينا أخبار أممهم وما جرىٰ لهم من العقوبات، وما جرىٰ للمتقين من النصر والتأييد والعاقبة الحميدة، وليس هناك قصص أحسن منه، كما قصَّ علينا صفات أهل الجنة والنار، وأنواع النعيم والعذاب، وأخبار يوم القيامة، والجزاء والحساب، إلىٰ غير ذلك من الأخبار العظيمة.

❑ فالوصية أيها الإخوة - رجالًا ونساءً، جنًّا وإنسًا - هي:

العناية بكتاب الله، والإكثار من تلاوته وتدبره، والعمل بما فيه، وبسنة الرسول؛ لأنها داخلة في ذلك؛ فسنة الرسول ﷺ داخلة في الوصية بكتاب الله؛ لأن الله سبحانه أوحىٰ إليه القرآن والسنة، قال جل وعلا: ﴿وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴿١﴾ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾﴾ [النجم: ١-٤].

وقال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ﴿٥٩﴾﴾ [النساء: ٥٩].

وقال ﷺ: «**ألا إني أُوتيت القرآن ومثله معه**»(١).

* فالوصية بالقرآن وصية بالسُّنة؛ فالواجب على جميع المسلمين هو العمل بالكتاب والسنة، وتحكيمهما في كل شيء.

وسُنَّة رسول الله ﷺ هي: أحاديثه الصحيحة، والاستفادة منها، وحفظ ما تيسر منها أيضًا، والسؤال عما أشكل منها؛ لأن الله أوصى بها، قال تعالى: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَٱحۡذَرُواْ﴾ [المائدة: ٩٢].

وقال جل وعلا: ﴿فَلۡيَحۡذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنۡ أَمۡرِهِۦٓ﴾؛ يعني: عن أمر النبي ﷺ: ﴿أَن تُصِيبَهُمۡ فِتۡنَةٌ أَوۡ يُصِيبَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾ [النور: ٦٣].

وقال جل وعلا: ﴿تِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِۚ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدۡخِلۡهُ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿١٣﴾ وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدۡخِلۡهُ نَارًا خَٰلِدٗا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٞ مُّهِينٞ ﴿١٤﴾﴾ [النساء: ١٣، ١٤]. نسأل الله العافية.

الوصية لنفسي ولكم ولجميع المسلمين، ولجميع مَنْ بلغه هذا الكلام، الوصية هي: تقوى الله، والعناية بكتاب الله الكريم، والتواصي بذلك قولًا وعملًا ومذاكرة، ومن ضيع ذلك فهو خاسر. قال تعالى: ﴿وَٱلۡعَصۡرِ ﴿١﴾ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا

(١) أخرجه أبو داود (٤٦٠٦)، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في «صحيح وضعيف سنن أبي داود».

ﵟٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ ٣ﵞ [العصر: ١-٣].

فهؤلاء هم أهل السعادة، وهم أهل الربح؛ الذين آمنوا بالله وبرسوله، ووحدوه، وأخلصوا لله العبادة، وأدوا فرائضه وتركوا محارمه، وتواصوا بالحق: أي تناصحوا فيما بينهم، وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر، ثم مع ذلك صبروا ولم يجزعوا حتىٰ لحقوا بربهم.

وهم المذكورون في قوله تعالىٰ: ﵟوَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُۗﵞ [التوبة: ٧١].

هذا هو شأنهم، وهذا شأن المؤمنين، وقد وعدهم الله بالرحمة، فقال تعالىٰ: ﵟأُوْلَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُﵞ [التوبة: ٧١]، وهذا جزاؤهم في الدنيا بالتوفيق والهداية والتسديد، وفي الآخرة بدخول الجنة، والنجاة من النار.

وهم المذكورون في قوله تعالىٰ: ﵟوَٱلْعَصْرِ ١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ ٣ﵞ [العصر: ١-٣].

ويقول سبحانه في هذا المعنىٰ: ﵟوَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰﵞ؛ البر والتقوىٰ هو: أداء فرائض الله وترك محارمه، ثم يقول سبحانه: ﵟوَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ٢ﵞ [المائدة: ٢].

ويقول النبي ﷺ في الحديث الصحيح: «**الدين النصيحة**»، قلنا: لمن يا رسول الله؟ قال: «**لله، ولكتابه، ولرسوله، ولأئمة المسلمين، وعامتهم**»[1]. رواه مسلم في «الصحيح».

---

(١) أخرجه البخاري (٤٣)، ومسلم (٢٠٥).

ويقول ﷺ: «**المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضًا**»، وشبك بين أصابعه[(١)].

ويقول النبي ﷺ: «**مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم، مثل الجسد الواحد، إذا اشتكىٰ منه عضو، تداعىٰ له سائر الجسد بالسهر والحمىٰ**»[(٢)].

هكذا كان أصحاب النبي ﷺ وأتباعهم بإحسان؛ متعاونين علىٰ البر والتقوىٰ، متناصحين، متواصين بالحق والصبر عليه، دعاة للخير، محذرين من الشر، صُبُر في جميع الأحوال.

وعليكم أن تكونوا كذلك مع أهلكم، ومع أولادكم، ومع جيرانكم، ومع جلسائكم، ومع جميع المسلمين أينما كانوا؛ في الباخرة، وفي الطائرة، وفي السيارة، وفي البر، وفي البحر، وفي أي مكان، فعليكم أيها الإخوة أن تكونوا متواصين بالحق، متناصحين، متعاونين علىٰ البر والتقوىٰ، دعاة للخير، محذرين من الشر، معتنين بكتاب الله تلاوةً وتدبرًا، وتعقلًا وعملًا.

والله المسئول بأسمائه الحسنىٰ وصفاته العلىٰ، أن يوفقنا وإياكم للفقه في دينه، والثبات عليه، وأن يعيذنا وإياكم وسائر المسلمين من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، وأن يوفقنا للعناية بكتابه، وسنة رسوله ﷺ والاهتداء بها، والعمل بما فيها.

* وأن يكون كتاب الله سبحانه خُلُقًا لنا كما كان خُلُقًا لرسولنا الكريم ﷺ وأن يعيذنا وإياكم وسائر المسلمين من مضلات الفتن، ومن نزغات الشيطان، وأن ينصر

---

(١) أخرجه البخاري (٢٤٤٦).

(٢) أخرجه البخاري (٦٠١١) ومسلم (٦٧٥١).

دينه ويُعلي كلمته، وأن يجعلنا وإياكم من أنصار دينه، والدعاة إليه علىٰ بصيرة؛ إنه سميع قريب.

وصلىٰ الله وسلم علىٰ عبده ونبينا محمد، وعلىٰ آله وصحبه وأتباعه بإحسان إلىٰ يوم الدين، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

الرسالة الثانية
الوصية بقراءة القرآن الكريم وتدبره والعمل به[1]

(١) كلمة لسماحته ألقاها في منىً في اليوم الثاني عشر من ذي الحجة عام ١٤٠٧ هـ رقم الشريط ١٠. انظر: «مجموع فتاوىٰ ومقالات متنوعة» للعلامة ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ (٢٣/ ٤٥٠-٤٦٠).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله وصلىٰ الله علىٰ رسول الله وعلىٰ آله وصحبه ومن اهتدىٰ بهداه.

❑ **أما بعد:**

فإن الله جل وعلا أنزل كتابه الكريم القرآن تبيانًا لكل شيء وهدىٰ ورحمة وبشرىٰ للمسلمين، كما قال عَزَّوَجَلَّ في سورة النحل: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾﴾[النحل: ٨٩].

ورغب عباده بتدبره وتعقله؛ ليفهموا مراده سبحانه وليعملوا بأوامره ولينتهوا عن نواهيه، وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٢٩﴾﴾ [ص: ٢٩].

وقال سبحانه: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴿٢٤﴾﴾[محمد: ٢٤].
وأخبر عَزَّوَجَلَّ أنه شفاء للناس وأنه يهدي للتي هي أقوم فقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء: ٩].

يعني: يهدي الناس المتدبرين المتعقلين الراغبين في الهداية يهديهم للطريقة التي هي أقوم الطرق وأهداها وأصلحها وأنفعها للعبد في الدنيا والآخرة، قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ﴾ [فصلت: ٤٤].

وقال سبحانه: ﴿وَهَٰذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٥٥﴾﴾ [الأنعام: ١٥٥] فالواجب علىٰ جميع المكلفين أن يتدبروا القرآن وأن

يتعقلوه وأن يتبعوه ويعملوا بما فيه؛ لأنه الذكر الحكيم ولأنه الصراط المستقيم فمن قرأه عليه أن يتدبره ويتعقله ومن سمعه كذلك.

وأنت يا عبد الله إما أن تكون تاليًا وإما أن تكون مستمعًا، فينبغي لك التدبر والتعقل لهذا الكتاب العظيم حتىٰ تعمل بما فيه، وحتىٰ تعلم عظمته وما اشتمل عليه من الخير والهدىٰ والتوجيه والإصلاح، وقد تيسر بحمد الله لك أن تقرأه وأن تسمعه فهو يتلىٰ من إذاعة القرآن الكريم صباح مساء تستطيع أن تسمعه متىٰ شئت، وتستطيع أن تسمعه من بعض إخوانك في كل مجلس تجلسونه، تستطيعون أن يقرأ أحدكم من المصحف أو عن ظهر قلب فتستمعوا وتنصحوا وتستفيدوا، والحافظ له أو لبعضه يستطيع أن يتدبر ويتعقل، وإن لم يكن لديه مصحف، فليقرأ مما أعطاه الله من حفظ كتابه أو ما تيسر منه.

فجدير بالمكلف وجدير بالمسلم أن يعنىٰ بهذا الكتاب العظيم وأن يتبصر فيه، وأن يعمل بما فيه، ثم بسنة الرسول ﷺ ففيها بيان ما قد يشكل، كما قال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل: ٤٤].

وقال سبحانه: ﴿وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۙ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [النحل: ٦٤].

وقد أنزل الله علىٰ نبيه عليه الصلاة والسلام الكتاب ليبين للناس ما أثبته عليهم من كتابه ﷻ، فالواجب علىٰ أهل الإسلام أن يعنوا بكتاب الله وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام عناية تامة، حتىٰ يفهموا مراد ربهم ومراد نبيهم عليه الصلاة والسلام وحتىٰ يعملوا بذلك.

وقد سمعتم في هذا الصباح هذه السورة العظيمة سورة (ق) فقد كان النبي يقرأ بها ﷺ في الجمعة؛ لأنها تجمع الناس يقرأ بها في الخطبة يوم الجمعة، وكان يقرأ بها في صلاة العيد يقرأ سورة (ق) وسورة (اقتربت)؛ لما فيهما من العظة والذكرىٰ والقصص وذكر المبدأ والمعاد والجنة والنار.

يقول الله سبحانه: ﴿قٓ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْمَجِيدِ ۝١﴾ (ق) حرف من الحروف المقطعة مثل (يس)، (طه)، (الم)، (المر)، حروف مقطعة، فتح الله بها بعض السورة للدلالة علىٰ عظمة هذا القرآن، وأنه كتاب عظيم مؤلف من هذه الحروف التي يعرفها الناس.

ثم حلف وأقسم بالقرآن فقال: ﴿وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْمَجِيدِ ۝١﴾ حلف الله به وهو كلامه ﷻ والقرآن كلام الله يحلف به كما يحلف بالله

والله سبحانه يقول: ﴿وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْمَجِيدِ ۝١﴾ وأسماء الله وصفات الله وعزة الله كذلك، والله يحلف به وبأسمائه ﷻ وبصفاته ولكن لا يحلف بالمخلوقات فالمخلوقات لا يحلف بها، كما قال النبي ﷺ: «**من حلف بغير الله فقد أشرك**»[1] ولكن يحلف بالله وبأسمائه وصفاته ﷻ، ولا يحلف بالنبي ولا بالكعبة ولا بالأمانة ولا بشرف فلان ولا حياة فلان - كما يجري علىٰ ألسنة بعض الناس - ولا بالأمانة فيقول: والأمانة ولا بالنبي ولا بالشرف ولا بحياتك كل هذا منكر، ومن المحرمات الشركية.

ثم يقول ﷻ: ﴿بَلْ عَجِبُوٓا۟ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ فَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا شَىْءٌ

(١) أخرجه أبو داود (٣٢٥٣)، وصححه العلامة الألباني في «صحيح الجامع» (٦٢٠٤).

عَجِيبٌ ۝﴾ منذر منهم، وهو: محمد عليه الصلاة والسلام يعرفونه نشأ فيهم، يعرفون صدقه وأمانته وكريم أخلاقه عليه الصلاة والسلام، قبل أن يوحىٰ إليه أنذرهم: بقال الله. قال الله كذا، وقال الله كذا، وعجبوا في هذا واستنكروه، مع أن الرسل قبله جاءت بذلك، نوح وهود وصالح وشعيب ولوط وإبراهيم وموسىٰ وعيسىٰ وداود وسليمان وغيرهم.

﴿فَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ ۝﴾ كونه يأمرهم وينهاهم ويخبرهم أنهم سوف يبعثون وسوف يجازون بأعمالهم، استنكروا هذا وقالوا: ﴿أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَٰلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ ۝﴾ بعد التراب نعود ونحاسب ونجازىٰ، استنكروا هذا بعقولهم القاصرة وهو سبحانه الذي خلقهم من الماء المهين وخلق أباهم آدم من التراب وهو قادر أن يحييهم يوم القيامة، أبوهم آدم كان من تراب وهم من ماء مهين، ماء الرجل الضعيف وماء المرأة، ثم كان إنسانًا سويًّا يقوم ويتكلم ويأمر وينهىٰ ويملك ويضرب ويفعل أشياء كثيرة.

﴿أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ۝﴾ [المرسلات: ٢٠] فالإنسان كله ضعيف وخلق الإنسان ضعيفًا من تراب ثم من ماء مهين، ثم يستنكر ويقول: ﴿أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَٰلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ ۝﴾.

فرد الله عليهم وقال: ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ ٱلْأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِندَنَا كِتَٰبٌ حَفِيظٌ ۝﴾. الله يعلم ما ذهب من أجسامهم بهذا التراب، وسوف يعيدهم يوم القيامة ويجازيهم بأعمالهم فإن خيرًا فخير وإن شرًّا فشر، كما تقدم في سورة التغابن في الدرس الماضي. قال تعالىٰ: ﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَن لَّن يُبْعَثُوا۟ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ﴾ [التغابن: ٧]. قل يا محمد ﴿بَلَىٰ وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ۝﴾.

قال تعالىٰ: ﴿فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلۡنَاۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ۝٨﴾ [التغابن: ٨].

﴿بَلۡ كَذَّبُواْ بِٱلۡحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمۡ فَهُمۡ فِيٓ أَمۡرٖ مَّرِيجٍ ۝٥﴾ كذبوا بالحق واختلف أمرهم وتمردوا وتنازعوا.

والمقصود في هذا: بيان أن الله جل وعلا خلق الخلق من ضعف من تراب، وخلق الجان من مارج من نار، وسوف يعيدهم ويجازيهم بأعمالهم فإن خيرًا فخير وإن شرًّا فشر.

فعليك يا عبد الله أن تُعِدَّ لهذه الإعادة العُدَّة، والله أسمعك قوله ﷻ: ﴿وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ نَبَاتٗا ۝١٧ ثُمَّ يُعِيدُكُمۡ فِيهَا وَيُخۡرِجُكُمۡ إِخۡرَاجٗا ۝١٨﴾ [نوح: ١٧، ١٨].

ويقول ﷻ: ﴿قَالَ فِيهَا تَحۡيَوۡنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنۡهَا تُخۡرَجُونَ ۝٢٥﴾ [الأعراف: ٢٥] وقال تعالىٰ: ﴿۞مِنۡهَا خَلَقۡنَٰكُمۡ وَفِيهَا نُعِيدُكُمۡ وَمِنۡهَا نُخۡرِجُكُمۡ تَارَةً أُخۡرَىٰ ۝٥٥﴾ [طه: ٥٥]. هذا أنت يا بن آدم من التراب وإلىٰ التراب ثم تخرج ثم تعاد، وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه ﷻ.

فالواجب علىٰ العاقل أن يتنبه لهذه الأمور وأن يعد العدة للقاء ربه.

وهذا المجمع مجمع الحج يذكر بيوم القيامة مجمع عظيم من أقطار الدنيا يجتمعون في عرفات وفي مزدلفة وفي أنحاء مكة، حتىٰ يقضوا مناسكهم ثم يعودون إلىٰ بلادهم، هذا فيه تذكير بذلك اليوم العظيم يوم القيامة، حيث يبعث الله الخلائق أولهم وآخرهم أسودهم وأبيضهم غنيهم وفقيرهم ملكهم ومملوكهم، كل الأجناس تبعث يوم القيامة، قال تعالىٰ: ﴿قُلۡ إِنَّ ٱلۡأَوَّلِينَ وَٱلۡأٓخِرِينَ ۝٤٩ لَمَجۡمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَٰتِ يَوۡمٖ

مَعۡلُومٍ ﴿٥٠﴾﴾[الواقعة: ٤٩، ٥٠].

ثم يجازىٰ كل عامل بعمله، فهذا يعطىٰ كتابه بيمينه وإلىٰ الجنة، وهذا يعطىٰ كتابه بشماله وإلىٰ النار.

إذا نظرت في أحوال الناس في هذا المجمع واختلاف ألوانهم واختلاف لغاتهم واختلاف حوائجهم واختلاف ملابسهم، إلىٰ غير ذلك تذكر يومًا يجمع الله فيه الخلائق عراة حفاة غرلًا، كلهم يخرجون يوم القيامة من هذه القبور، ومن البحار ومن كل مكان، ويجمعون عاريةً ظهورهم ليس عليهم شيء وليس في أرجلهم شيء، حتىٰ يكسوهم الله ﷻ، يحشرون ويجمعون ويجازون بأعمالهم.

فانتبه لهذا اليوم، وتذكر ذلك المجمع وأن الأسباب التي بها النجاة برحمة الله هي ما تقدمه من أعمال صالحات من طاعة الله ورسوله هذه الأسباب، يقول ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمۡ جَنَّٰتُ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨﴾﴾[لقمان: ٨] هذا جزاؤهم إذا عملوا الصالحات.

قال تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ ﴿١٩﴾﴾ [الحديد: ١٩] هذا جزاء هؤلاء وهذا جزاء هؤلاء.

قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ لَفِي نَعِيمٖ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ ٱلۡفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٖ ﴿١٤﴾﴾ [الانفطار: ١٣، ١٤].

فتذكر، وخذ العدة اليوم، وهذا من المنافع التي أشار الله إليها في قوله سبحانه: ﴿لِّيَشۡهَدُواْ مَنَٰفِعَ لَهُمۡ﴾ [الحج: ٢٨] في هذا الحج تسمع كلمة ينفعك الله بها، نصيحة ينفعك الله بها، وصية من أخيك ينفعك الله بها، في أي مكان.

وإياك وإيثار العاجلة والغفلة، قال تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَمَّآ أُنذِرُواْ

مُعۡرِضُونَ ﴿٣﴾ ﴾[الأحقاف: ٣].

وقال ﷻ: ﴿وَلَقَدۡ ذَرَأۡنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِۖ لَهُمۡ قُلُوبٞ لَّا يَفۡقَهُونَ بِهَا وَلَهُمۡ أَعۡيُنٞ لَّا يُبۡصِرُونَ بِهَا وَلَهُمۡ ءَاذَانٞ لَّا يَسۡمَعُونَ بِهَآۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلۡأَنۡعَٰمِ﴾ كالإبل والبقر والغنم، ﴿بَلۡ هُمۡ أَضَلُّۚ﴾ بل أشد ضلالًا من الأنعام ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡغَٰفِلُونَ ﴿١٧٩﴾﴾ [الأعراف:١٧٩] والعياذ بالله لا ترضىٰ أن تكون من هؤلاء.

قال تعالىٰ: ﴿أَمۡ تَحۡسَبُ أَنَّ أَكۡثَرَهُمۡ يَسۡمَعُونَ أَوۡ يَعۡقِلُونَۚ إِنۡ هُمۡ إِلَّا كَٱلۡأَنۡعَٰمِۖ بَلۡ هُمۡ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾﴾[الفرقان: ٤٤].

أكثر الخلق كالأنعام لا ينظر إلا في المأكل والمشرب والمنكح والمسكن والمركب، ونحو ذلك، في غفلة وسكرة لا يهمه إلا المأكول والمشروب والملبوس والمنكوح والمسكون والمركوب ونحو ذلك، هذا قصارىٰ همه فإذا ارتفعت همته انشغل ببعض الصناعات والاختراعات ليعيش مع الناس.

لكن المؤمن يعمل ويكتسب ويخترع ويصنع ويكدح ويعد العدة لآخرته، يعمل في طاعة الله ورسوله يجمع بين هذا وهذا، يقول جل وعلا: ﴿مَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَنُحۡيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةٗ طَيِّبَةٗۖ وَلَنَجۡزِيَنَّهُمۡ أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٩٧﴾﴾ [النحل: ٩٧] من عمل صالحًا عن إيمان أحياه الله الحياة الطيبة وجزاه بأحسن ما عمل، فضلًا منه وإحسانًا ﷻ.

فوصيتي لك ولكم: تقوىٰ الله وإعداد العدة للآخرة، وأن تدبروا كتاب ربكم وسنة نبيكم عليه الصلاة والسلام، وأن تحرصوا علىٰ حلق العلم وسماع العلم من إذاعة، أو صحيفة، أو اجتماع، أو خطبة جمعة، أو تذكير مذكر، أو غير ذلك، تحروا

ما ينشر من الكلمات الطيبة والمواعظ في أي صحيفة، وما يذاع في إذاعة القرآن أو في برنامج نور علىٰ الدرب من علم وتوجيه إلىٰ خير، وكذلك خطب الجمعة، وما يحصل في بعض الأحيان والمناسبات من الخطب والتذكير إلىٰ غير ذلك، ليكون للمؤمن عناية بهذا الشيء حرصًا عليه حتىٰ لا يغفل وحتىٰ لا تأخذه التيارات الأخرىٰ فيهلك مع الهالكين، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وهذا اليوم يوم الخميس هو النفر الأول وغدًا النفر الثاني، وبذلك ينتهي عمل الحج من جهة الرمي، وإذا غابت الشمس غدًا يوم الجمعة انتهىٰ أمر الرمي، ومن لم يرم فاته الرمي ووجب عليه دم، فالنهاية هو غروب الشمس غدًا، ومن تعجل في هذا اليوم الثاني عشر فلا بأس بعد أن يرمي الجمرات بعد الزوال، يرمي الجمار الثلاث كل واحدة بسبع حصيات بعد الظهر بعد الزوال، ثم يرتحل إذا شاء إلىٰ مكة، أو إلىٰ بلده متعجلًا بعد أن يطوف طواف الوداع، فإن أراد مكة والإقامة بها أقام بها ما شاء الله، وإلا طاف الوداع ومشىٰ، فرسولنا ﷺ بات ليلة أربعة عشر في الأبطح، نفر في اليوم الثالث عشر آخر النهار.

❊ ❊ ❊

الرسالة الثالثة
الحث على العناية بكتاب الله وتعلمه[1]

(١) كلمة لسماحته ألقاها في حفل مسابقة القرآن الكريم وتجويده نشرت في جريدة الجزيرة عدد رقم (٨٦٠٦) وتاريخ ٣/ ١٢/ ١٤١٦هـ، وفي المجموع ج٩ ص ٨٤. انظر: «مجموع فتاوى ومقالات متنوعة» للعلامة ابن باز رحمه الله (٢٤/ ١٣٩-١٤٩).



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام علىٰ رسول الله، وعلىٰ آله وأصحابه ومن اهتدىٰ بهداه.

❑ **أما بعد:**

فإني أشكر الله سبحانه علىٰ هذا اللقاء بأبنائي الكرام علىٰ تعلم القرآن الكريم وحفظه، والدعوة إليه والعمل به، ولا ريب أن القرآن كلام الله منزل غير مخلوق، منه بدأ وإليه يعود، أوحاه إلىٰ عبده ورسوله وخاتم أنبيائه محمد بن عبد الله عليه الصلاة والسلام، وفيه الحجة علىٰ جميع عباده.

قال تعالىٰ: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ ۝١﴾ [إبراهيم: ١].

وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ يَهۡدِي لِلَّتِي هِيَ أَقۡوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمۡ أَجۡرٗا كَبِيرٗا ۝٩﴾ [الإسراء: ٩].

وقال تعالىٰ: ﴿قُلۡ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ هُدٗى وَشِفَآءٞ﴾ [فُصِّلَت: ٤٤]. وقال تعالىٰ: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝١٩٢ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلۡأَمِينُ ۝١٩٣ عَلَىٰ قَلۡبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُنذِرِينَ ۝١٩٤ بِلِسَانٍ عَرَبِيّٖ مُّبِينٖ ۝١٩٥﴾ [الشعراء: ١٩٢ - ١٩٥].

وقال تعالىٰ: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ۝٢٩﴾ [ص: ٢٩].

وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٥٥﴾﴾ [الأنعام: ١٥٥].

فالواجب علىٰ جميع المكلفين العمل بهذا الكتاب والسير علىٰ توجيهه وما بين الله فيه سبحانه، والحذر من مخالفة ذلك، كما يجب عليهم أيضًا العمل بسنة الرسول ﷺ كما قال تعالىٰ: ﴿قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ ۖ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا۟ ۚ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٥٤﴾﴾ [النور: ٥٤].

وقال ﷻ: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحشر: ٧]. وأخبر سبحانه أنه أرسله إلىٰ جميع الناس جنهم وإنسهم، عربهم وعجمهم.

قال تعالىٰ: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾﴾ [الأعراف: ١٥٨].

فالهداية باتباعه ﷺ واتباع ما جاء في كتاب الله عَزَّوَجَلَّ، فقد قال سبحانه: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ [سبأ: ٢٨].

وقال تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

وقال النبي الكريم عليه الصلاة والسلام: «**بعثت إلىٰ الناس عامة**» [1].

فالواجب علىٰ جميع المكلفين التمسك بكتاب الله وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام.

---

(١) أخرجه البخاري (٣٣٥)، ومسلم (١١٩١) بنحوه.

وفي حديث آخر: «**وإني تارك فيكم ثقلين أولهما كتاب الله عَزَّوَجَلَّ فيه الهدىٰ والنور فخذوا بكتاب الله تعالىٰ واستمسكوا به**»(١).

والله خلق الخلق ليعبدوه قال تعالىٰ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦﴾[الذاريات: ٥٦] وأمرهم بذلك.

قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ﴾ [البقرة: ٢١].

وأرسل رسله بذلك قال جل وعلا: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦].

وهذه العبادة هي طاعة الله، وهي توحيد الله، وهي تقوىٰ الله، وهي البر والهدىٰ، كما قال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ ۝٢٣﴾[النجم: ٢٣].

فلا بد من تعلم هذه العبادة والتبصر فيها، وهي دين الإسلام، فأنت مخلوق للعبادة فعليك أيها الرجل وعليك أيتها المرأة، عليكما جميعًا أن تتعلما هذه العبادة وأن تعرفاها جيدًا حتىٰ تؤدياها علىٰ بصيرة، وهذه العبادة هي دين الإسلام، وهي الحق والهدىٰ، وهي تقوىٰ الله وتوحيد الله وطاعته واتباع شريعته.

هذه هي العبادة التي أنت مخلوق لها. سمىٰ الله دينه عبادة؛ لأن العبد يؤديها في الدنيا بخضوع لله وانكسار، فدين الإسلام كله عبادة وتقوىٰ لله، والصلاة عبادة، والزكاة عبادة، والصوم عبادة، والحج عبادة، والجهاد عبادة، وهكذا جميع ما فرض الله علينا عبادة تؤدىٰ لله وطاعة لله.

---

(١) أخرجه مسلم (٦٣٧٨).

فهذا الدين العظيم دين الإسلام: هو العبادة التي أنت مخلوق لها، وهي التقوىٰ، وهي البر والهدىٰ، فالواجب علىٰ جميع الثقلين جنهم وإنسهم، ذكورهم وإناثهم أن يتقوا الله وأن يعبدوه بطاعة أوامره واجتناب نواهيه والإخلاص له، وعدم عبادة سواه، فيجب علىٰ كل مكلف أن يصرف عبادته لله وحده، وهذا معنىٰ لا إله إلا الله، فإن معناه لا معبود حق إلا الله كما قال تعالىٰ في سورة الحج: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٦٢﴾ ﴾ [الحج: ٦٢]. وقال جل وعلا: ﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾ ﴾ [البقرة: ١٦٣]. وقال سبحانه: ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ ﴾ [محمد: ١٩].

فهذا معنىٰ لا إله إلا الله، والإله هو الذي تألهه القلوب وتعظمه بأنواع العبادة، ولا يستحق ذلك إلا الله وحده، ولا تصح العبادة لغيره، فيجب علىٰ أهل الأرض الجن والإنس وجميع المكلفين من ذكور وإناث من عرب وعجم، يجب علىٰ الجميع أن يعبدوا الله وأن يتقوه، وأن يطيعوا أوامره، وأن ينتهوا عن نواهيه، وأن يقفوا عند حدوده عن إخلاص وصدق ورغبة ورهبة؛ لأنهم خلقوا لهذه العبادة، وخلقوا ليتقوه ويطيعوه، وخلقوا لدين الإسلام الذي هو عبادة الله وأمروا بذلك.

قال تعالىٰ: ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾ [آل عمران: ١٩].

وقال تعالىٰ: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾ [آل عمران: ٨٥].

وقال تعالىٰ: ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ

ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾ [المائدة: ٣].

هذا الإسلام الذي رضيه الله لنا ولن يقبل منا سواه، هو عبادة الله وتوحيد الله وطاعته واتباع شريعته قولًا وعملًا وعقيدة.

قال تعالىٰ: ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾ [آل عمران: ١٩] ولا سبيل إلىٰ هذا العلم ومعرفة هذه العبادة إلا بالله ثم بالتعلم والتفقه والدراسة حتىٰ تعلم دين الله الذي خلقت له، وهو دين الإسلام وتوحيد الله وطاعته.

فيجب التعلم والتفقه والعناية بالقرآن الكريم والسنة حتىٰ تعلم هذه العبادة التي أنت مخلوق لها، وحتىٰ تقوم بذلك وتعمل بذلك عن إخلاص لله ومحبة لله وعن تعظيم لله في جميع الأحوال، يجب أن تستقيم علىٰ توحيده وطاعته واتباع شريعته وترك ما نهىٰ عنه: أبدًا أبدًا، وأينما كنت حتىٰ تموت علىٰ ذلك.

قال تعالىٰ لنبيه ﷺ: ﴿ وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴿٩٩﴾ ﴾ [الحِجر: ٩٩] أي الموت.

وقال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟﴾ [آل عمران: ١٠٣] هذه هي العبادة التي أنت مخلوق لها، تقوىٰ الله، والاعتصام بحبله، والاستقامة علىٰ دينه.

ومن وسائلها: أن تعنىٰ بكتاب الله، وأن تدرس كتاب الله وأن تتفقه فيه وفي سنة

رسول الله ﷺ؛ لقول النبي ﷺ: «من يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين» [(١)] متفق على صحته.

وأنا أهنئ القائمين على هذه المدارس لعنايتهم بكتاب الله، وأن أشكرهم على ما يقومون به نحو تعظيم كتاب الله، وتعليمه للأجيال، فإن هذا هو طريق السعادة لمن استقام على ذلك، وأخلص في ذلك، نسأل الله أن يعينهم على ما فيه رضاه وعلى ما فيه سعادتهم، وما فيه توفيقهم للفقه في الدين.

وإنني أهيب بجميع الدارسين والمدرسين إلى أن يعنوا بكتاب الله أستاذًا وطالبًا وموظفًا، وأنصح الجميع أن يعنوا بكتاب الله تلاوة وتدبرًا وتعقلًا وعملًا وحفظًا.

ففي كتاب الله الهدى والنور كما قال سبحانه: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء: ٩].

وقال سبحانه: ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ﴾ [فُصِّلَت: ٤٤].

وقال سبحانه: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٥٥﴾﴾ [الأنعام: ١٥٥]. فهذا الكتاب العظيم فيه الهدى والنور، وكل حرف بحسنة، وكل من تعلم حرفا فله حسنة والحسنة بعشر أمثالها.

وأوصي الجميع بالعناية بكتاب الله عز وجل دراسة وتلاوة وتدبرًا وحرصًا على معرفة المعنى وعملًا بذلك، مع الحفظ لما تيسر من كتاب الله، وهو أعظم كتاب وأصدق كتاب، فقد أنزله الله رحمة للناس وشفاء لما في الصدور، وجعل الرسول

(١) أخرجه البخاري (٣١١٦)، ومسلم (٢٤٣٦).

أيضًا رحمة للعالمين وهداية للبشر كما قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَتۡكُم مَّوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَشِفَآءٞ لِّمَا فِي ٱلصُّدُورِ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٥٧﴾﴾ [يونس: ٥٧].

وقال تعالىٰ: ﴿وَنَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ تِبۡيَٰنٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُسۡلِمِينَ ﴿٨٩﴾﴾ [النحل: ٨٩].

وقال تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

فيجب أن نتعلم هذا الكتاب ونتفقه فيه حتىٰ نعلم ما خلقنا له فنعلم العبادة التي خلقنا لها حتىٰ نستقيم عليها، وهكذا السنة سنة الرسول ﷺ نتعلمها ونحفظها ونتفقه فيها، ونسأل عما أشكل علينا والطالب يسأل عما أشكل عليه من كتاب الله وسنة رسوله.

قال تعالىٰ: ﴿فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [النحل: ٤٣] فتعلم كتاب الله من أعظم نعم الله، فهنيئًا لكل طالب يعنىٰ بكتاب الله تلاوة وتدبرًا وتعقلًا وعملًا، وهذه نعمة عظيمة.

وإني أوصيكم بالاستقامة علىٰ هذا الخير العظيم، وسؤال الله التوفيق والإخلاص في ذلك لله عَزَّوَجَلَّ والعناية بالتفقه في كتاب الله والتفقه في سنة رسوله ﷺ مع العمل بأداء فرائض الله وترك محارم الله والمسارعة إلىٰ كل خير والحذر من كل شر مع الإكثار من تلاوة كتاب الله ومدارسته والتفقه فيه، ومراجعة كتب التفسير المفيدة كتفسير ابن جرير، وابن كثير، والبغوي، وغيرهم لمعرفة الحق ولمعرفة ما أشكل عليكم. وينبغي للطالب أن يسأل أستاذه عما أشكل عليه عن قصد صالح ورغبة، كي يتفقه في كتاب الله، وعلىٰ الأستاذ أن يعنىٰ بذلك للتلاميذ من جهة

توجيههم وتعليمهم الخير والعمل، وأن يكونوا شبابًا صالحين يتعلمون ويعلمون ويسارعون إلىٰ كل خير، فأهم شيء بعد الشهادتين هو أداء الصلوات الخمس، والمحافظة عليها في مساجد الله في الجماعة.

ويجب علىٰ أهل العلم أن يكونوا قدوة في ذلك، العالم وطالب العلم يجب أن يكونوا قدوة، وأن يكونوا مسارعين إلىٰ أدائها في الجماعة حتىٰ يتأسىٰ بهم غيرهم ويحتذي حذوهم في ذلك.

فالعلماء ورثة الأنبياء وعلىٰ رأسهم الرسل عليهم أفضل الصلاة والتسليم والعلماء بعد الرسل هم خلفاؤهم، يدعون إلىٰ الله بالقول والعمل والسيرة، والطلبة كذلك - طلبة العلم - يجب عليهم أن يَعْلَموا ويُعَلِّموا، وأن يكونوا قدوة لغيرهم وأن تظهر عليهم آثار العلم والتعلم والتفقه في دين الله وفي كتاب الله.

نسأل الله بأسمائه الحسنىٰ وصفاته العلىٰ أن يوفق الجميع لما يرضيه، وأن يمنحنا جميعًا الفقه في الدين، وأن يرزقنا العناية بكتابه وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام والعمل بهما، والدعوة إليهما، والتواصي بهما قولًا وعملًا وعقيدة وتفقها، وأن يعيذنا من مضلات الفتن ومن نزغات الشيطان.

كما نسأله سبحانه أن ينصر دينه ويعلي كلمته، وأن يصلح أحوال المسلمين في كل مكان، وأن يمنحهم الفقه في الدين، وأن يوفق حكام المسلمين وأمراءهم لما فيه رضاه، ويصلح أحوالهم ويمنحهم الاستقامة علىٰ دينه وتحكيم شريعته.

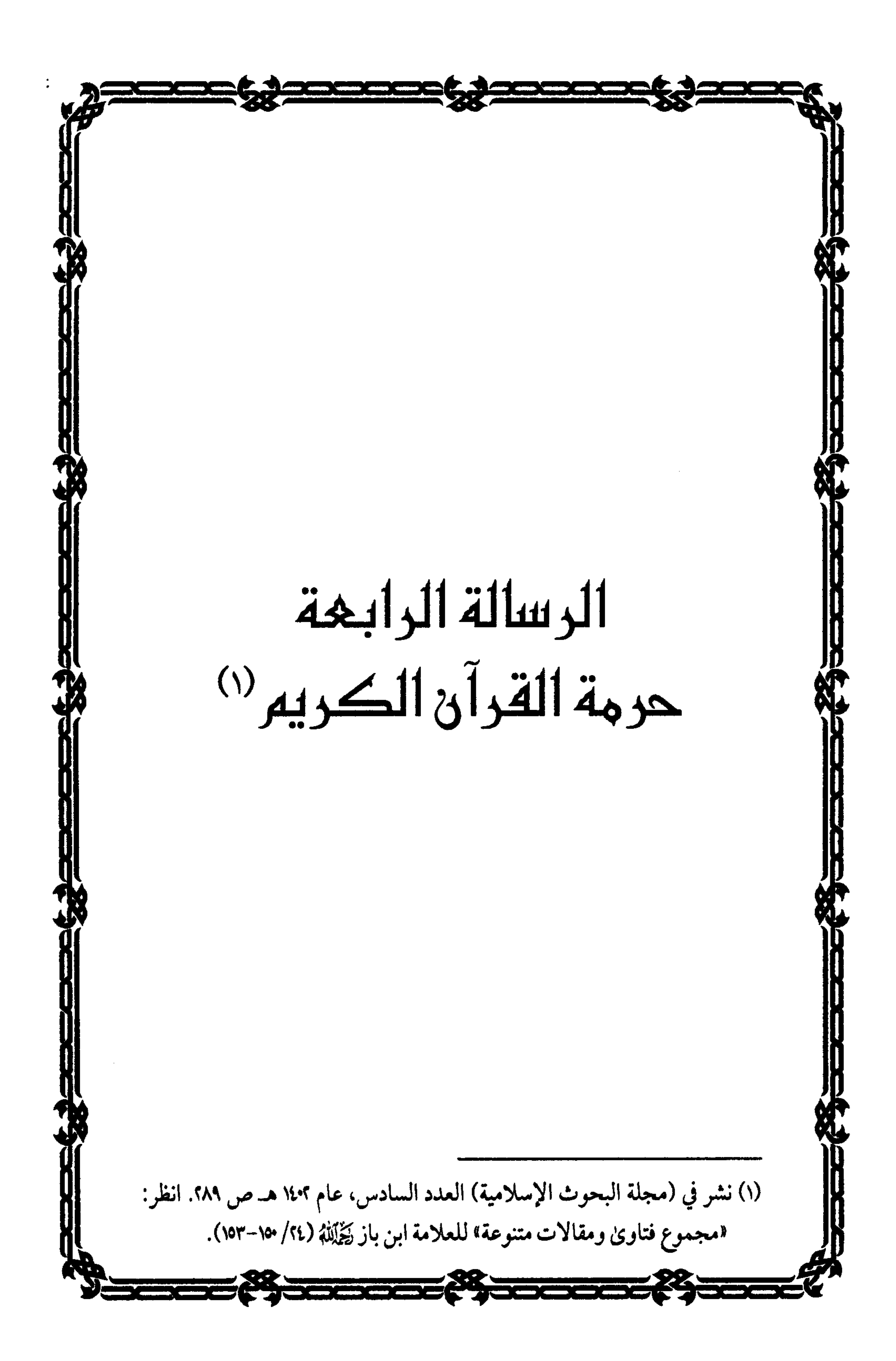
كما نسأله سبحانه أن يوفق ولاة أمرنا في المملكة العربية السعودية لكل خير، وأن يعينهم علىٰ كل خير، وأن يصلح لهم البطانة وأن يجعلهم من الهداة المهتدين،

وأن يعيذنا وإياهم وسائر المسلمين من مضلات الفتن ونزغات الشيطان، وأن يجعلنا جميعًا من عباده الصالحين وحزبه المفلحين إنه سميع قريب.

وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد وعلىٰ آله وصحبه أجمعين وأتباعه إلىٰ يوم الدين.







الرسالة الرابعة
حرمة القرآن الكريم[1]

(١) نشر في (مجلة البحوث الإسلامية) العدد السادس، عام ١٤٠٢ هـ ص ٢٨٩. انظر: «مجموع فتاوى ومقالات متنوعة» للعلامة ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ (٢٤/ ١٥٠-١٥٣).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد الأولين والآخرين نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

❑ أما بعد:

فإن القرآن كلام الله تعالى أنزله على عبده ورسوله محمد ﷺ؛ ليكون هدى ونورًا للعالمين إلى يوم القيامة، وقد أكرم الله صدر هذه الأمة بحفظه في الصدور والعمل به في جميع شئون الحياة والتحاكم إليه في القليل والكثير، ولا يزال فضل الله سبحانه ينزل على بعض عباده فيعطون القرآن حقه من التعظيم والتكريم حسًّا ومعنى.

ولكن هناك طوائف كبيرة وأعداد عظيمة ممن ينتسب إلى الإسلام حرمت من القيام بحق القرآن العظيم وما جاء عن الرسول ﷺ، وأخشى أن ينطق بحق على كثير منهم قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى اتَّخَذُواْ هَٰذَا الْقُرْءَانَ مَهْجُورًا ﴿٣٠﴾﴾ [الفرقان: ٣٠]. إذ أصبح القرآن لدى كثير منهم مهجورًا، هجروا تلاوته وهجروا تدبره والعمل به فلا حول ولا قوة إلا بالله.

ولقد غفل كثير منهم عما يجب عليهم من تكريم كتاب الله وحفظه؛ إذ قصروا في مجال الحفظ والتدبر والعمل، كما لم يقوموا بما يجب من التعظيم والتكريم لكلام رب العالمين، ولقد عمت بلاد المسلمين المنشورات والصحف والمجلات،

وكثيرًا ما تشتمل علىٰ آيات من القرآن الكريم في غلافها أو داخلها، لكن قسمًا كبيرًا من المسلمين حينما يقرءون تلك الصحف يلقونها فتجمع مع القمائم وتوطأ بالأقدام، بل قد يستعملها بعضهم لأغراض أخرىٰ حتىٰ تصيبها النجاسات والقاذورات، والله ﷻ يقول في كتابه الكريم: ﴿إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِى كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ ﴿٧٨﴾ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾﴾ [الواقعة: ٧٧ - ٨٠].

والآية دليل علىٰ أنه لا يجوز مس القرآن إلا إذا كان المسلم علىٰ طهارة كما هو رأي الجمهور من أهل العلم، وفي حديث عمرو بن حزم الذي كتبه له رسول الله ﷺ: «**ألا يمس القرآن إلا طاهر**»(١).

ويروىٰ عن ابن عمرو أن النبي ﷺ قال: «**لا تمس القرآن إلا وأنت طاهر**»(٢).

وروي عن سلمان رضي الله عنه أنه قال: «لا يمس القرآن إلا المطهرون»، فقرأ القرآن ولم يمس المصحف حين لم يكن علىٰ وضوء.

وعن سعد أنه أمر ابنه بالوضوء لمس المصحف.

فإذا كان هذا في مس القرآن العزيز، فكيف بمن يضع الصحف التي تشتمل علىٰ آيات من القرآن سفرة لطعامه، ثم يرمي بها في النفايات مع النجاسات والقاذورات ؟ لا شك أن هذا امتهان لكتاب الله العزيز وكلامه المبين.

فالواجب علىٰ كل مسلم ومسلمة أن يحافظوا علىٰ الصحف والكتب وغيرها مما فيه آيات قرآنية أو أحاديث نبوية أو كلام فيه ذكر الله أو بعض أسمائه سبحانه

---

(١) أخرجه مالك في «الموطأ» (٤٦٩)، وضعفه العلامة الألباني في «ضعيف الجامع» (٢٣٣٣).

(٢) أخرجه الحاكم (٣/ ٥٥٢)، وقال العلامة الألباني في «ضعيف الجامع» (٦٢٧٦): ضعيف جدًّا.

فيحفظها في مكان طاهر، وإذا استغنىٰ عنها دفنها في أرض طاهرة أو أحرقها، ولا يجوز التساهل في ذلك، وحيث إن الكثير من الناس في غفلة عن هذا الأمر، وقد يقع في المحذور؛ جهلًا منه بالحكم؛ رأيت كتابة هذه الكلمة تذكيرًا وبيانًا لما يجب علىٰ المسلمين العمل به تجاه كتاب الله وأسمائه وصفاته وأحاديث رسوله ﷺ، وتحذيرًا من الوقوع فيما يغضب الله ويتنافىٰ مع مقام كلام رب العالمين.

والله سبحانه المسئول أن يوفقنا والمسلمين جميعًا لما يحبه ويرضاه، وأن يعيذنا جميعًا من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، وأن يمنحنا جميعًا تعظيم كتابه وسنة رسوله ﷺ، والعمل بهما وصيانتهما عن كل ما يسيء إليهما من قول أو فعل، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

وصلىٰ الله علىٰ نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

الرئيس العام لإدارات البحوث

العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد

عبد العزيز بن عبد الله بن باز

الرسالة الخامسة

حكم الإسلام فيمن زعم أن القرآن متناقض أو مشتمل على بعض الخرافات أو وصف الرسول ﷺ بما يتضمن تنقصه، أو الطعن في رسالته، والرد على من تجرأ على ذلك أو نسب إليه [1]

(١) صدرت في نشرة طبعتها الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة تحت رقم (٩).
انظر: «مجموع فتاوى ومقالات متنوعة» للعلامة ابن باز رحمه الله (١/ ٨٢-٨٤).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله، والصلاة والسلام علىٰ رسول الله، وعلىٰ آله وصحبه ومن اهتدىٰ بهداه.

❑ **أما بعد:**

فقد نشرت صحيفة الشهاب اللبنانية في عددها الصادر في ٢٣ ربيع الأول سنة (١٣٩٤هـ)، الموافق ١ نيسان سنة (١٩٧٤م)، فقرات خطيرة من كلام مسئول كبير، ألقاه في إحدىٰ المناسبات، حول الثقافة الذاتية والوعي القومي، يتضمن الطعن في القرآن الكريم بأنه متناقض، ومشتمل علىٰ بعض الخرافات، مع وصف الرسول محمد ﷺ بأنه إنسان بسيط يسافر كثيرًا في الصحراء، ويستمع إلىٰ الخرافات البسيطة السائدة في ذلك الوقت، وقد نقل تلك الخرافات إلىٰ القرآن الكريم وهذا نص ما نشرته الصحيفة المذكورة:

القرآن متناقض حوىٰ خرافات، مثل قصة أهل الكهف، وعصا موسىٰ؟!

في مناسبة عقدت بأواخر الشهر الماضي: مؤتمر للمدرسين والمربين، لمناسبة الملتقىٰ الدولي حول الثقافة الذاتية، والوعي القومي، وقد ألقىٰ ذلك المسئول خطابًا طويلًا تعرض فيه لقضايا فكرية هامة، وأجرىٰ عملية جريئة وعلنية لنصوص قرآنية ثابتة، خلص أنها متناقضة حينًا، وخرافية حينًا آخر، وقد نشرت نص الخطاب جريدة أخرىٰ علىٰ جزأين في عددين صدرًا بتاريخ ٢٠ و ٢١ من شهر آذار، مارس الماضي، وقد عملت وسائل الإعلام الرسمية علىٰ حذف النقاط النافرة في الخطاب، وسنورد

النقاط المحذوفة التي سمعت حية من المذكور، ثم نورد ما نشرته الجريدة حرفيًّا:

(١) إن في القرآن تناقضًا لم يعد يقبله العقل بين ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا﴾ [التوبة: ٥١] و ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١].

(٢) الرسول محمد عليه الصلاة والسلام كان إنسانًا بسيطًا يسافر كثيرًا عبر الصحراء العربية، ويستمع إلىٰ الخرافات البسيطة السائدة في ذلك الوقت، وقد نقل تلك الخرافات إلىٰ القرآن، مثال ذلك: عصا موسىٰ، وهذا شيء لا يقبله العقل، بعد اكتشاف باستور، وقصة أهل الكهف.

(٣) إن المسلمين وصلوا إلىٰ تأليه الرسول محمد، فهم دائمًا يكررون: محمد ﷺ، الله يصلي علىٰ محمد - وهذا تأليه لمحمد، وقد دعا في ختام خطابه، المربين وأهل التعليم إلىٰ تلقين ما قاله حول الإسلام إلىٰ تلاميذهم. انتهىٰ المقصود مما ذكرته صحيفة (الشهاب) عن كلام المذكور، وقد أفزع هذا المقال كل مسلم قرأه أو سمعه، لما اشتمل عليه من الكفر الصريح، والجرأة علىٰ الله ﷻ، وعلىٰ رسوله ﷺ من مسئول دولة تنتسب إلىٰ الإسلام، كان من المفروض عليه أن يدافع عن دينه، وعن كتاب ربه، وعن رسوله محمد ﷺ لو سمع مثل هذا المقال، أو ما هو أخف منه من أي أحد، ولكن الأمر كما قال سبحانه: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ﴿٤٦﴾﴾ [الحج: ٤٦] ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٨﴾﴾ [آل عمران: ٨].

ولما قرأت هذا المقال في صحيفة «الشهاب» بادرت بإرسال برقية للمذكور

بتاريخ ٧ / ٤ سنة (١٣٩٤هـ) هذا نصها:

نشرت صحيفة (الشهاب) بعدد ٢٣ ربيع الأول سنة (١٣٩٤هـ) حديثًا نسب إليكم غاية في الخطورة، يتضمن الطعن في القرآن الكريم بالتناقض، والاشتمال علىٰ الخرافات، والطعن في مقام الرسالة المحمدية العظيم.

وقد أزعج ذلك المسلمين واستنكروه غاية الاستنكار، فإن كان ذلك صدر منكم، فالواجب - شرعًا - المبادرة إلىٰ التوبة النصوح منه، وإعلانها بطرق الإعلان الرسمية وإلا وجب إعلان بيان رسمي صريح بتكذيبه، واعتقاد خلافه؛ كي يطمئن المسلمون، وتهدأ ثائرتهم، من هذه التصريحات الخطيرة.

ونسأل الله تعالىٰ أن يوفق الجميع لما فيه الخير والصلاح في الدنيا والآخرة، وللتوبة من جميع الآثام، سرها وجهرها، وأن يعز الإسلام وأهله وأوطانه إنه سميع مجيب.

رئيس الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

عبد العزيز بن عبد الله بن باز

الرسالة السادسة
وجوب الاعتصام بكتاب الله عز وجل وسنة رسوله ﷺ والتحذير مما يخالفهما[1]

(١) كلمة ألقيتها في افتتاح الموسم الثقافي لرابطة العالم الإسلامي لحج عام ١٤٠٦ هـ بمكة المكرمة مساء السبت ١٩/ ١١/ ١٤٠٦ هـ.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، والصلاة والسلام علىٰ عبده ورسوله وأمينه علىٰ وحيه، وصفوته من خلقه، نبينا وإمامنا وسيدنا محمد بن عبد الله، وعلىٰ آله وأصحابه ومن سلك سبيله، واهتدىٰ بهداه إلىٰ يوم الدين.

أما بعد:

فإن الله عز وجل بعث نبيه ﷺ بالهدىٰ ودين الحق، كما قال سبحانه في سورتي التوبة والصف: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [التوبة: ٣٣، الصف: ٩].

وقال في سورة الفتح: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدٗا ﴿٢٨﴾ ﴾ [الفتح: ٢٨].

قال علماء التفسير رحمهم الله: الهدىٰ: هو ما بعث الله به نبيه ﷺ من العلوم النافعة، والأخبار الصادقة، ودين الحق: هو ما بعثه الله به من الأعمال الصالحة، والأحكام العادلة.

وقد بين الله سبحانه أن الإيمان بما بعث به نبيه ﷺ من الهدىٰ ودين الحق، والعمل بذلك، هو الصراط المستقيم الذي من سار عليه، واستقام عليه، وصل إلىٰ شاطئ السلامة، وفاز بالجنة والكرامة، ومن حاد عنه واتبع هواه، باء بالصفقة الخاسرة، وسوء المصير.

وقد أمر الله عز وجل جميع العباد باتباع الصراط المستقيم، ونهاهم عن اتباع السبل التي تفضي بهم إلىٰ صراط الجحيم، فقال عز وجل في سورة الأنعام: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾﴾ [الأنعام: ١٥٣].

وأشار بقوله ﴿وَأَنَّ هَٰذَا﴾، إلىٰ ما سبق أنْ أمر نبيه ﷺ أن يتلوه علىٰ الناس، ويبينه لهم، ليعقلوا ويتذكروا، وذلك في قوله سبحانه: ﴿۞ قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۖ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ۖ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ۖ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ ۖ وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ ۖ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۖ وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُوا۟ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۖ وَبِعَهْدِ ٱللَّهِ أَوْفُوا۟ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٢﴾﴾، ثم قال سبحانه: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ﴾ [الأنعام: ١٥١-١٥٣] الآية.

فبين عز وجل بهذا: أن امتثال هذه الأوامر والنواهي، هو الصراط المستقيم الذي أمر باتباعه، وبدأها سبحانه بالتحذير من الشرك وبيان تحريمه علىٰ الأمة، وذلك لأنه أعظم الذنوب وأشهر الجرائم، ولأن ضده وهو التوحيد هو أعظم الفرائض وأهم الواجبات، وذلك هو أساس الملة. وقاعدة الصراط المستقيم، وهو الذي بعث الله به جميع الرسل، وأنزل به جميع الكتب، وخلق من أجله الثقلين، كما قال سبحانه: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذاريات: ٥٦].

وقال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟

﴿ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦].

وقال تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾ [الأنبياء: ٢٥].

وقد أمر الله عباده بذلك في مواضع كثيرة من كتابه، وعلىٰ لسان رسوله محمد ﷺ، قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾﴾ [البقرة: ٢١].

وقال سبحانه: ﴿۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٢٣].

وقال ﷻ: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ﴾ [البينة: ٥].

وأرشد عباده في سورة الفاتحة أن يقروا بذلك لله سبحانه فقال: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴿٤﴾ إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ﴿٥﴾﴾ [الفاتحة: ٢-٥].

والآيات في هذا المعنىٰ كثيرة.

وفي الصحيحين عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن النبي ﷺ قال لمعاذ: **«أتدري ما حق الله علىٰ العباد وما حق العباد علىٰ الله؟»** قال معاذ: قلت: الله ورسوله أعلم، فقال ﷺ: **«حق الله علىٰ العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئًا»**(١). الحديث.

وقال ﷺ: **«من مات وهو يدعو لله ندًا دخل النار»**(٢) خرجه البخاري في «صحيحه».

---

(١) أخرجه البخاري (٢٨٥٦)، ومسلم (١٥٢).

(٢) أخرجه البخاري (٤٤٩٧).

والأحاديث في هذا المعنىٰ كثيرة.

وهذا هو معنىٰ لا إله إلا الله، فإن معناها: «لا معبود حق إلا الله»، فهي تنفي جميع أنواع العبادة عن غير الله، وتثبتها بحقٍّ لله وحده، كما قال الله سبحانه: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلْبَٰطِلُ﴾ [لقمان: ٣٠].

ثم ذكر سبحانه حق الوالدين، وهو الإحسان إليهما وعدم عقوقهما، ثم نهىٰ عن قتل الأولاد من أجل الإملاق، وهو الفقر وأخبر أنه سبحانه هو الذي يرزق الوالدين والأولاد، وكان من عادة بعض أهل الجاهلية قتل أولادهم خشية الفقر، فنهىٰ عباده عن فعل ذلك، لما فيه من الظلم والعدوان وسوء الظن بالله عَزَّوَجَلَّ.

ثم نهىٰ عن قربان الفواحش ظاهرها وباطنها، وهي المعاصي كلها، ثم خص من ذلك قتل النفس بغير حق لعظم هذه الجريمة، وسوء عاقبتها أكثر من غيرها من المعاصي التي دون الشرك.

ثم نهىٰ عن قربان مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن، حتىٰ يبلغ أشده، وذلك حين يبلغ ويرشد.

ثم أمر بالوفاء بالكيل والميزان بالقسط وهو العدل، لما في بخس المكيال والميزان من الظلم والعدوان، وأكل المال بالباطل.

ثم أمر بالعدل في القول بعدما أمر بالعدل في الفعل، فقال سبحانه: ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُوا۟ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ﴾ [الأنعام: ١٥٢]، والمعنىٰ: أن العدل في جميع الأقوال والأفعال مع القريب والبعيد، والحبيب والبغيض، طاعة لله سبحانه، وتنفيذ لحكمه، وضده: هو الظلم في القول والعمل.

ثم أمر عباده سبحانه بالوفاء بعهده الذي عهد إليهم في كتابه المبين، وعلىٰ لسان رسوله الأمين عليه من ربه أفضل الصلاة والتسليم، وذلك يشمل جميع ما شرعه لعباده من الفرائض، والأحكام والأقوال والأعمال، وما نهاهم عنه سبحانه، كما نص علىٰ ذلك أئمة التفسير.

ثم قال عَزَّوَجَلَّ بعد ذلك: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦ﴾، فعلم بهذا: أن صراطه سبحانه هو العمل بأوامره، والانتهاء عن نواهيه، والإيمان بكل ما جاء به رسوله ﷺ من العلوم النافعة، والأخبار الصادقة، والشرائع والأحكام، ظاهرًا وباطنًا؛ خلافًا لأهل النفاق.

وقد أرشد سبحانه عباده في سورة الفاتحة، إلىٰ أن يسألوه الهداية إلىٰ هذا الصراط لشدة ضرورتهم إلىٰ ذلك، وبيَّن سبحانه أنه هو طريق المنعم عليهم، المذكورين في قوله تعالىٰ: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا ٦٩﴾ [النساء: ٦٩].

وقد دلت الأحاديث المرفوعة، والآثار عن الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، والتابعين لهم بإحسان، علىٰ أن السبل التي نهىٰ الله عن اتباعها، هي البدع والشبهات والشهوات المحرمة، والمذاهب والنحل المنحرفة عن الحق، وسائر الأديان الباطلة.

ومن ذلك ما رواه الإمام أحمد والنسائي بإسناد صحيح، عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «خط رسول الله ﷺ خطًّا بيده ثم قال: **«هذا سبيل الله مستقيمًا»**، وخط خطوطًا عن يمينه وشماله، ثم قال: **«هذه السبل ليس منها سبيل إلا عليه شيطان يدعو إليه»**، ثم قرأ: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ

بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾ ﴾(١).

ومما يحسن التنبيه عليه: أنه عَزَّوَجَلَّ ذكر في ختام الآية الأولىٰ من الآيات الثلاث المذكورة آنفًا: ﴿ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾ ﴾، وفي ختام الآية الثانية: ﴿ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٢﴾ ﴾، وفي ختام الآية الثالثة: ﴿ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾ ﴾.

قال بعض علماء التفسير: الحكمة في ذلك - والله أعلم -: أن من تدبر كتاب الله عَزَّوَجَلَّ، وأكثر من تلاوته، حصل له التعقل للأوامر والنواهي، والتذكر لما تشتمل عليه من المصالح العظيمة، والعواقب الحميدة في الدنيا والآخرة، وبذلك ينتقل إلىٰ التقوىٰ: وهي فعل الأوامر وترك النواهي، اتقاء لغضب الله وعقابه، ورغبة في مغفرته ورحمته والفوز بكرامته.

وهذا معنىٰ عظيم، وذلك من أسرار كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه؛ لكونه تنزيلًا من حكيم حميد، لا تخفىٰ عليه خافية، ولا يعجزه شيء، وهو العالم بأحوال عباده ومصالحهم، لا إله غيره ولا رب سواه.

وقد أخبر سبحانه أن ما أوحىٰ الله به إلىٰ نبيه ﷺ هو روح تحصل به الحياة الطيبة، ونور تحصل به البصيرة والهداية، كما أخبر أن رسوله الكريم يهدي إلىٰ صراطه المستقيم، الذي أوضحه في الآيات الثلاث التي ذكرنا آنفًا، وذلك في قوله عَزَّوَجَلَّ في سورة الشورىٰ: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾

---

(١) أخرجه أحمد (١/ ٤٣٥)، وحسنه العلامة الألباني في «المشكاة» (١٦٦).

صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ ﴿٥٣﴾﴾ [الشورىٰ: ٥٢، ٥٣].

فأوضح سبحانه أن الوحي الذي أوحاه إلىٰ نبيه ﷺ من الكتاب والسنة، روح تحصل به الحياة الطيبة، السعيدة الحميدة، ونور تحصل به الهداية والبصيرة، كما قال عز وجل في سورة الأنعام: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾ [الأنعام: ١٢٢] الآية، فأخبر سبحانه أن الكافر ميت منغمس في الظلمات، لا خروج له منها إلا إذا أحياه الله بالإسلام والعلم النافع.

وقال عز وجل في سورة الأنفال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ [الأنفال: ٢٤] الآية، فأخبر سبحانه أن الاستجابة لله وللرسول هي الحياة، وأن من لم يستجب لله وللرسول فهو ميت مع الأموات.

وقال عز وجل في سورة النحل: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾﴾ [النحل: ٩٧]، فأبان سبحانه في هذه الآية الكريمة أن من عمل صالحًا من الذكور والإناث، وهو مؤمن بالله ورسوله، أحياه الله حياة طيبة، وهي الحياة التي فيها راحة القلب والضمير، مع السعادة العاجلة والآجلة، لاستقامة صاحبها علىٰ شرع مولاه سبحانه، وسيره علىٰ ذلك إلىٰ أن يلقاه عز وجل.

ثم أخبر سبحانه أنه يجزيهم في الآخرة أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون، فجمع لهم سبحانه بين الحياة الطيبة في الدنيا، والسعادة الكاملة في الآخرة، وذلك فضل الله

يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم، ومعلوم أنه لا يحصل هذا الخير العظيم، إلا لمن اعتصم بكتاب الله عَزَّوَجَلَّ، وسنة رسوله ﷺ قولًا وعملًا وعقيدة، واستمر علىٰ ذلك حتىٰ يلقىٰ ربه عَزَّوَجَلَّ، كما قال سبحانه في سورة آل عمران: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ﴾ [آل عمران: ١٠٢، ١٠٣] أمر الله سبحانه في هاتين الآيتين أهل الإيمان: بأن يتقوا الله في جميع حياتهم، حتىٰ يموتوا علىٰ ذلك، وأمرهم: بالاعتصام بحبله، وهو دينه الذي بعث به نبيه ﷺ، وهو الإسلام وهو التمسك بالقرآن والسنة، ونهىٰ عن التفرق في ذلك لما يفضي إليه التفرق من ضياع الحق، وسوء العاقبة، واختلاف القلوب.

وقال سبحانه في سورة الحجر يخاطب نبيه ﷺ: ﴿فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿٩٤﴾﴾ [الحجر: ٩٤] إلىٰ أن قال سبحانه: ﴿فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٩٨﴾ وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ ﴿٩٩﴾﴾ [الحجر: ٩٨، ٩٩].

فأمره سبحانه أن يبلغ رسالاته، ويصدع بذلك، ويعرض عمن خالفه، ثم أمره أن يسبح بحمده، وأن يكون من الساجدين له عَزَّوَجَلَّ، وأن يعبد ربه حتىٰ يأتيه اليقين، وهو الموت، فعلم بذلك أن الواجب علىٰ جميع العباد، أن يستقيموا علىٰ شرع الله، وأن يعتصموا بكتابه وسنة نبيه ﷺ، وأن يستمروا في ذلك، ويلزموه ولا يبالوا بمن خالفه، حتىٰ تنزل بهم آجالهم.

وقد أمر الله سبحانه في مواضع كثيرة من كتابه العزيز، وفي أحاديث كثيرة مما صح عن رسول الله ﷺ، باتباع كتابه الكريم، والاعتصام به واتباع السنة وتعظيمها، والحذر مما خالفهما.

فمن ذلك قوله تعالىٰ في سورة الأعراف: ﴿ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَۗ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ ٣﴾ [الأعراف: ٣].

وقال سبحانه في سورة الأنعام: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ مُبَارَكٞ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُواْ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ١٥٥﴾ [الأنعام: ١٥٥].

وقال في سورة الإسراء: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ يَهۡدِي لِلَّتِي هِيَ أَقۡوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمۡ أَجۡرٗا كَبِيرٗا ٩﴾ [الإسراء: ٩].

وقال في سورة ص: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٢٩﴾ [ص: ٢٩].

والآيات في هذا المعنىٰ كثيرة.

وقال سبحانه في سورة النساء لما ذكر تفصيل الميراث: ﴿تِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِۚ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدۡخِلۡهُ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ١٣ وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدۡخِلۡهُ نَارًا خَٰلِدٗا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٞ مُّهِينٞ ١٤﴾ [النساء: ١٣، ١٤].

وقال فيها أيضًا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ٥٩﴾ [النساء: ٥٩].

فأمر سبحانه في هذه الآية العظيمة بطاعته، وطاعة رسوله ﷺ وأولي الأمر، وأمر عند التنازع بالرد إليه سبحانه وإلىٰ رسوله ﷺ، وقد بين أهل العلم أن الرد إليه

سبحانه هو الرد إلىٰ كتابه الكريم، وأن الرد إلىٰ الرسول ﷺ هو الرد إليه في حياته، وإلىٰ سنته ﷺ بعد وفاته، وأخبر ﷻ أن هذا الرد خير للعباد في دنياهم وأخراهم، وأحسن تأويلًا؛ أي: عاقبة.

وبهذا يعلم أن الواجب علىٰ جميع أهل الإسلام: أن يعتصموا بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ في كل أمورهم، وأن يردوا ما تنازعوا فيه إليهما، وأن ذلك خير لهم وأحسن عاقبة في العاجل والآجل، أما طاعة أولي الأمر فهي واجبة في المعروف، كما صحت بذلك السنة عن رسول الله ﷺ، وهذا الموضع من المواضع التي قيد فيها مطلق الكتاب بما يصح في السنة عن الرسول ﷺ؛ لأنه هو المبلغ عنه، والدال علىٰ شريعته بأمره سبحانه، كما قال ﷻ في سورة النحل: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [النحل: ٤٤].

وقال فيها سبحانه: ﴿وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى ٱخْتَلَفُواْ فِيهِ ۙ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [النحل: ٦٤].

وقال سبحانه في سورة النساء أيضًا: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ﴿٨٠﴾﴾ [النساء: ٨٠].

وبين سبحانه في سورة الأعراف أن أنصاره وأتباعه هم المفلحون، وبين ﷻ أن الهداية معلقة باتباعه ﷺ، فقال سبحانه: ﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ

لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾ ﴾ [الأعراف: ١٥٧، ١٥٨].

وقال في سورة الأنفال: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾ إلىٰ أن قال سبحانه: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾ [الأنفال: ٢٠-٢٤] الآية.

وسبق أن هذه الآية العظيمة تدل علىٰ أن الحياة بالاستجابة لله وللرسول ﷺ، وأن من لم يستجب لله ورسوله فهو من الأموات، وإن كان حيًّا بين الناس، حياة البهائم، وقال ﷻ في سورة النور: ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿٥٤﴾ ﴾ [النور: ٥٤].

فأبان سبحانه في هذه الآية الكريمة: أن الهداية في طاعته، واتباع ما جاء به، ولاشك أن طاعته ﷺ طاعة لله ﷻ، واتباع لكتابه العظيم، كما قال سبحانه: ﴿مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ﴾ [النساء: ٨٠] الآية.

وقال في آخر سورة النور: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ ﴾ [النور: ٦٣]، وهذا وعيد شديد لمن حاد عن أمره ﷺ واتبع هواه.

وقال في سورة الفتح: ﴿ لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَنْ يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٧﴾ ﴾ [الفتح: ١٧].

وقال في سورة الحشر: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا

ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴿٧﴾ ﴾ [الحشر: ٧].

والآيات في الأمر بطاعة الله وطاعة رسوله ﷺ، واتباع كتاب الله عز وجل والاهتداء به كثيرة جدًّا، وقد ذكرنا منها بحمد الله ما فيه الكفاية والمقنع لمن وفق لقبول الحق.

وأما الأحاديث في ذلك فهي كثيرة أيضا، فنذكر منها ما تيسر.

ومن ذلك: ما ثبت في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ أنه قال: **«من أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصاني فقد عصىٰ الله، ومن أطاع الأمير فقد أطاعني، ومن عصىٰ الأمير فقد عصاني»**(١).

والمراد بطاعة الأمير طاعته في المعروف، كما ثبت ذلك في الأحاديث الصحيحة عن رسول الله ﷺ، ومعلوم أن السنة يقيد مطلقها بمقيدها، كما أن الكتاب العزيز يفسر المطلق فيه بالمقيد، ويفسر مطلقه أيضا بمقيد السنة، كما سبق التنبيه علىٰ ذلك عند ذكر قوله عز وجل: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ ﴾ [النساء: ٥٩] الآية.

وفي صحيح البخاري، عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ أنه قال: **«كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبىٰ»**، قيل: يا رسول الله، ومن يأبىٰ؟ قال: **«من أطاعني دخل الجنة، ومن عصاني فقد أبىٰ»**(٢).

وخرج الإمام أحمد وأبو داود والحاكم بإسناد صحيح، عن المقدام بن

---

(١) أخرجه البخاري (٢٩٥٧)، ومسلم (٤٨٥٢).

(٢) أخرجه البخاري (٧٢٨٠).

معديكرب، عن رسول الله ﷺ أنه قال: **«ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه، ألا يوشك رجل شبعان علىٰ أريكته يقول عليكم بهذا القرآن فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه وما وجدتم فيه من حرام فحرموه»**[(١)].

وخرج أبو داود وابن ماجه بسند صحيح، عن ابن أبي رافع، عن أبيه، عن النبي ﷺ قال: **«لا ألفين أحدكم متكئًا علىٰ أريكته يأتيه الأمر من أمري مما أمرت به أو نهيت عنه فيقول: لا ندري، ما وجدنا في كتاب الله اتبعناه»**[(٢)].

وعن الحسن بن جابر قال: سمعت المقدام بن معديكرب رضي الله عنه يقول: حرم رسول الله ﷺ يوم خيبر أشياء ثم قال: **«يوشك أحدكم أن يكذبني وهو متكئ يحدّث بحديثي فيقول: بيننا وبينكم كتاب الله، فما وجدنا فيه من حلال استحللناه وما وجدنا فيه من حرام حرمناه، ألا إن ما حرم رسول الله مثل ما حرم الله»**[(٣)]. أخرجه الحاكم والترمذي وابن ماجه بإسناد صحيح.

وقد تواترت الأحاديث عن رسول الله ﷺ بأنه كان يوصي أصحابه في خطبته أن يبلغ شاهدهم غائبهم ويقول لهم: **«رب مبلغ أوعىٰ من سامع»**[(٤)].

ومن ذلك: ما في «الصحيحين» أن النبي ﷺ لما خطب الناس في حجة الوداع في يوم عرفة، وفي يوم النحر قال لهم: **«فليبلغ الشاهد الغائب فرب مبلغ أوعىٰ له ممن سمعه»**[(٥)].

---

(١) أخرجه أحمد (٤/ ١٣٠)، وصححه العلامة الألباني في «المشكاة» (١٦٣).

(٢) أخرجه أبو داود (٤٦٠٧)، وصححه العلامة الألباني في «صحيح الجامع» (٧١٧٢).

(٣) أخرجه أحمد (٤/ ١٣٢)، وحسنه العلامة الألباني في «الصحيحة» ضمن حديث رقم (٢٨٧٠).

(٤) أخرجه البخاري (١٧٤١).

(٥) أخرجه البخاري (١٧٤١)، ومسلم (٤٤٧٨).

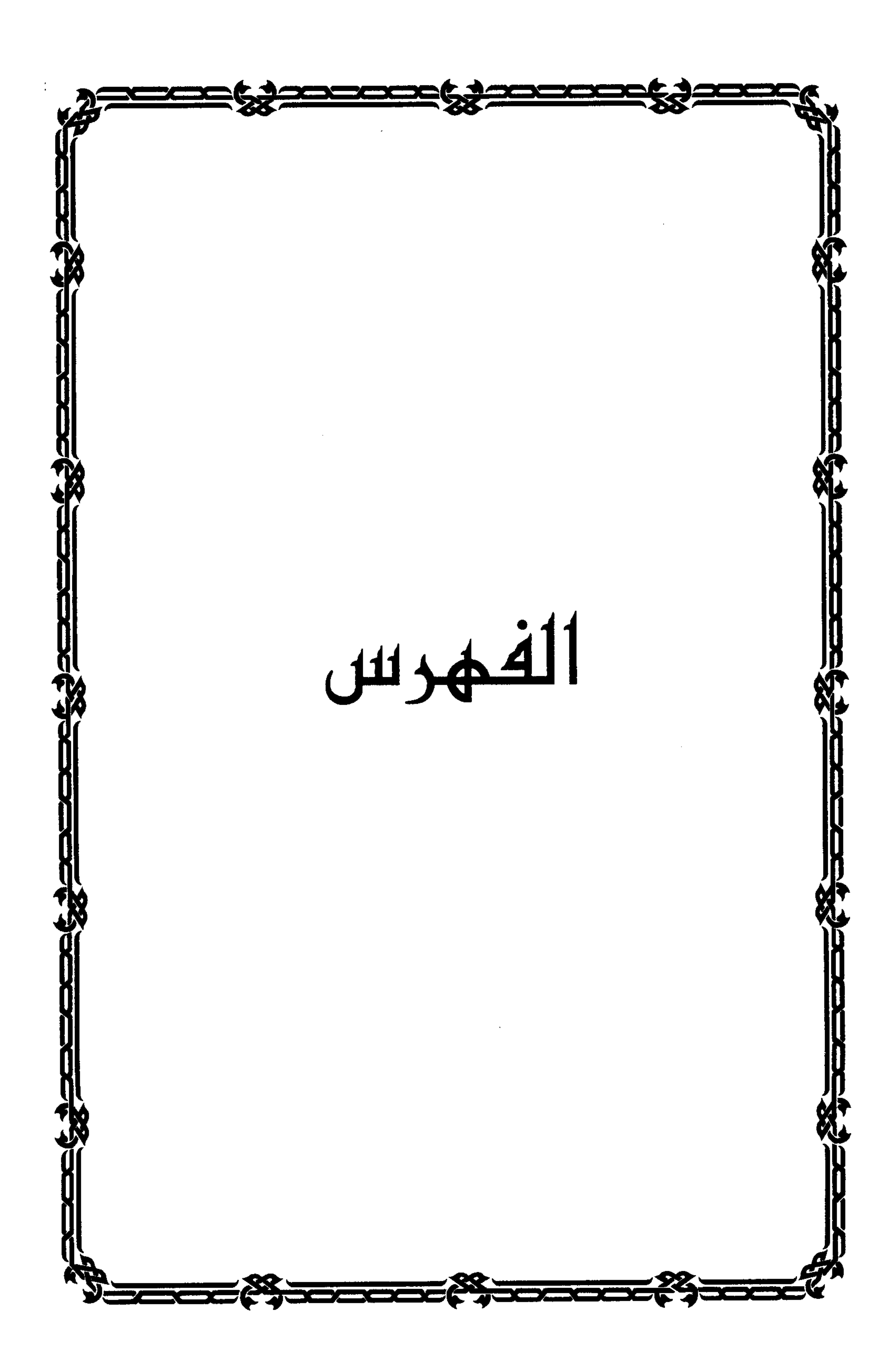
فلولا أن سنته حجة علىٰ من سمعها وعلىٰ من بلغته، ولولا أنها باقية إلىٰ يوم القيامة، لم يأمرهم بتبليغها، فعلم بذلك أن الحجة بالسنة قائمة علىٰ من سمعها من فيه عليه الصلاة والسلام، وعلىٰ من نقلت إليه بالأسانيد الصحيحة.

وأسأل الله سبحانه بأسمائه الحسنىٰ وصفاته العلىٰ أن يوفقنا وسائر المسلمين للتمسك بكتابه، وسنة رسوله ﷺ، والعمل بهما، والتحاكم إليهما، ورد ما تنازع فيه المسلمون إليهما، وأن يوفق حكام المسلمين وقادتهم لاتباع كتابه وسنة نبيه ﷺ، والحكم بهما في جميع الشئون، وأن يجمع كلمة المسلمين علىٰ الحق، وينصرهم علىٰ أعدائهم، كما أسأله سبحانه أن ينصر دينه، ويعلي كلمته ويخذل أعداءه ويوفق المجاهدين في سبيله لما فيه رضاه، ويجمع كلمتهم علىٰ الحق، ويؤلف بين قلوبهم، وينصرهم علىٰ أعدائهم أعداء الإسلام، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد وعلىٰ آله وأصحابه وأتباعه بإحسان.

عبد العزيز بن عبد الله بن باز
رئيس المجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة
ورئيس المجلس الأعلىٰ العالمي للمساجد
والرئيس العام لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد في المملكة العربية السعودية

❊



الفهرس

الفهرس